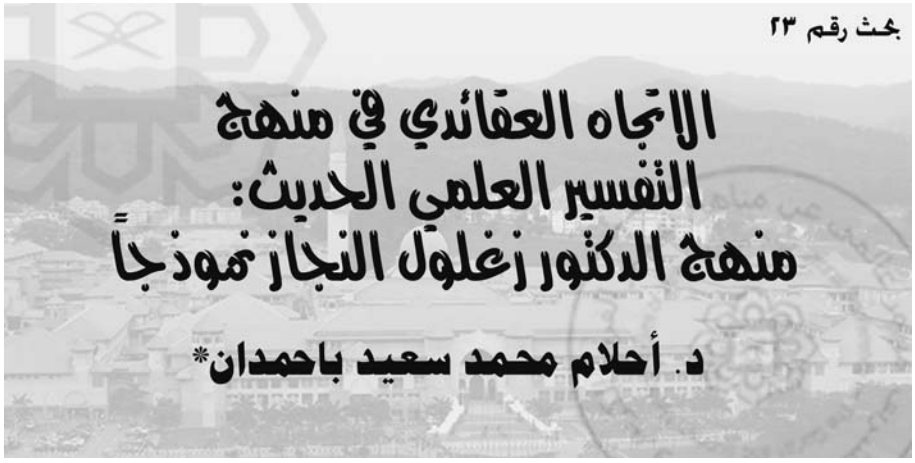

مقدمـــــة

الحمد لله، اللهم ربنا لك الحمد بما خلقتنا ورزقتنا، وهديتنا، وعلمتنا، وأنقذتنا، وفرجت عنا،لك الحمد بالإيمان، ولك الحمد بالإسلام، ولك الحمد بالقرآن، ولك الحمد بالأهل والمال والمعافاة، كبت عدونا، وبسطت رزقنا، وأظهرت أمننا، وجمعت فرقتنا، وأحسنت معافاتنا، ومن كل ما سألناك ربنا أعطيتنا، فلك الحمد على ذلك حمدا كثيرا، لك الحمد على كل نعمة أنعمت بها علينا في قديم أو حديث أو سر أو علانية أو خاصة أو عامة أو حي أو ميت أو شاهد أو غائب، لك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيت، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد!

للمرة الأولى تعرض كتابات الدكتور النجار وتفسيراته على بساط البحث في هذا المحيط الشامل، وتُناقش بوصفها وحدة في بحث عقدي تفسيري مستقل تستعرض عالما وعلمه.

وعُنوان البحث قد يدل على موضوعه دلالة كافية (الاتجاه العقائدي في مناهج التفسير العلمي الحديث: منهج الدكتور زغلول النجار نموذجاً)، والدكتور أولى الكتَّاب المعاصرين بالدفاع عن التفسير العلمي والإعجاز العلمي بل هو صاحب مدرسة فيه حين جعل لهما أهمية

* عضو هيئة التدريس بكلية الدعوة وأصول الدين، ووكيلة عميد معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى بمكة المكرمة، tota_pari@hotmail.com.

كبرى في الدعوة إلى الله بل هما لغته في هذا العصر وإنا لنحسب أن الدكتور النجار قد وصل في هذه القضية إلى رأي حاسم حين انتهى إلى تحديد المقصود بالتفسير العلمي والإعجاز العلمي، وضوابطهما، وشروطهما، وما ورد حولهما من شبه والرد عليها.

لم يُصغِ الدكتور النجار الأمور هذه الصياغة المختصرة فنحن نترجم عنه، وإلا فقد استغرقت معظـــم كتاباته على مدى حياته ولا نستطيع أن ننقلها هنا، ولكن يبقى له فضله العظيم في تجلية هذه القضية، وقد رتب عليها نتائجها الطبيعية، وسيأتي بيان ذلك إن شاء الله.

إلا أننا ونحن نستعرض تفسيراته العلمية لآيات القرآن الكريم لندرسها عقديا. قد نخالفه في بعض القضايا، كما قد نوافقه، ولكن هذا كله شيء آخر لا يمس القيمة الذاتية للعمل الجبار الذي يقوم به الدكتور النجار بوصفه أول داعية لا يقف عند لغة معينة، بل يسترشد بأكثر من لغة، وبتطور الطرائق الدعوية، كما يسترشد بالبدايات السابقة، والتطور اللاحق في الأساليب الحديثة، ومن هنا كان هذا البحث يمثل قضية هامة ومهمة مرة، ومرة، ومرة.

أما المرة الأولى: فلأن الذي سنتناوله بالدراسة هو شخصية دار حولها الكثير من الخلاف حتى طال أحيانا سلامة اتجاهه، واستقامة منهجه وصحة عقيدته. والأمر يستحق الدراسة، وهذا حقه علينا.

فالدكتور النجار ظاهرة علمية ظهرت في الساحة الإعلامية والعلمية ولفت الأنظار إليه.. هو ليس فقيها أو حاصلا على رسالة جامعية في علوم الدين، ولكنه عالم جيولوجيا نشأ نشأة دينية فقرأ الفقه وحفظ القران الكريم ... وبسبب ندواته ومحاضراته وبرامجه التلفزيونية التي تركز على التفسير العلمي لآيات القران الكريم وما فيها من إعجاز.. اعتنق كثيرون الإسلام، وفي الوقت نفسه واجه انتقادات كثيرة سواء من المتخصصين في العلوم الشرعية والإسلامية أو غيرهم، بل إن بعض تفسيراته لاقت هجوما من علماء الأزهر نفسه كما حدث في المقهى الثقافي بمعرض الكتاب في القاهرة هذا العام حول آيات الزلزلة، والأكثر من ذلك اتهامه في سلامة عقيدته حيث رماه بعضهم بالرفض والزندقة. فجاءت هذه الدراسة في جزء منها تعرض تفسيراته العلمية للقران الكريم على عقيدة السلف رضوان الله عليهم، وكانت أهم أبواب البحث والتي تدور حول رأيه في أبرز مسائل العقيدة كقضايا التوحيد وأنواعه، وبقية أركان الإيمان، ودراستها دراسة نقدية عقدية.

وأما المرة الثانية: فلأن الدكتور النجار كانت وسيلته الأساسية لخدمة دعوته وقضيته هي التفسيرات العلمية لآيات القران الكريم، وهي قضية العصر التي دار حولها أيضا خلاف كبير كما لم يدر حول قضية أخرى، حيث ذهب العديد من علماء الدين والمفسرين إلى تشجيع وتأييد منهج الدكتور النجار في تفسيره للقران الكريم، وجواز فهم الإشارات العلمية الواردة فيه على أساس من الحقائق العلمية الثابتة وفي نفس الوقت جزم العديد منهم بعدم جواز ما يقوم به الدكتور النجار لعدم جواز رؤية كلام الله في إطار محاولات البشر وقد ساعد على وجود هذه الإشكالية أن الغالبية العظمى من العلوم تكتب من مفهوم مادي صرف بيد من يملكون القيادة الفكرية في هذه المجالات من الغربيين المعروفين بمواقفهم العدائية من قضية الإيمان بالله واليوم الآخر وبقية قضايا العقيدة الإسلامية، وبسبب تخلف المسلمين في مجال العلوم والتقنية بصفة خاصة، فكان لابد من تجلية القضية، والحكم على منهج الدكتور النجار العلمي في التفسير في ضوء رأي عقيدة السلف رضوان الله عليهم.

وأما المرة الثالثة: ونحن نقف على مفترق الطرق أمام غرب لا يفهم إلا لغة العلم، فتأتي هذه التفسيرات العلمية للآيات وما تحمله من إعجاز علمي هي وسيلته – حفظه الله – في تحسين صورة الإسلام في العالم والذي يتناسب مع طبيعة العصر ولغته، وكما يقول الدكتور النجار: لأننا نعيش في زمن أدار غالبية الناس ظهورهم فيه للدين، و لم تعد قضايا الغيب المطلق من بعث بعد الموت، وعرض أكبر أمام الله الخالق، والخلود في الآخرة، وغيرها من قضايا العقيدة، لم تعد تحرك فيهم ساكنا، ولكنهم في نفس الوقت قد فتنوا بالعلم ومعطياته فتنة كبيرة، فإذا أبرزنا سبق القران في الإشارة إلى عدد من حقائق الكون من خلال آياته قبل أن يصل الإنسان إلى شيء منها بعشرات المئات من السنين، وهو الكتاب الذي أنزل على نبي أمي، وأمة معظمها أمية، فإن ذلك سوف:

١- يحرك العقول والقلوب للإيمان بالله رب القرآن، والذي لا يمكن أن يكون كلام غيره سبحانه.

٢- التحييد لحجم الكراهية الشديدة التي غرستها وسائل الإعلام الدولية ضد الإسلام والمسلمين في قلوب غير المسلمين.

٣- كما أن فيه دعوة مستنيرة إلى دين الله في زمن التحدي بالعولمة والذي يتهدد كافة شعوب الأرض بالذوبان في بوتقة الحضارة المادية الجافة، وهذه الوسيلة في الدعوة

إلى الله سبق جديد في عالم الدعوة يستحق الدراسة.

٤- يرد على الهجمة الشرسة التي يتعرض لها القرآن للتشكيك أنه من عند الله، فالتفسيرات العلمية التي يتبناها النجار تؤكد أن الذي خلق الأكوان هو الذي أنزل القرآن.

٥- هو حاجة ملحة أمام الإنسان الذي انهمك بمشاغله وغفل عن خالقه، وطالت ألفته لما حوله فنسي وجه الإعجاز فيما حوله وعظمة الخالق فيما خلق، فيحسب جهلا منه وغرورا أن المعجزة هي تلكم التي تفاجئ ما ألفه واعتاده، ثم يمضي هذا الإنسان الجاهل يتخذ مما ألفه واعتاده مقياسا لإيمانه بالأشياء أو كفره بها، وهذا جهل عجيب في الإنسان مهما ارتقى في مدارج المدنية والعلم، وتأمل يسير من الإنسان يوضح له بجلاء أن الخالق – جل وعلا – الذي خلق معجزة هذا الكون كله ليس عسيرا عليه أن يزيد فيه معجزة أخرى أو أن يبدل أو أن يغير في بعض أنظمته التي أنشأ العالم عليها.

وأخيرا: هو تأكيد عدم انقضاء عجائب القرآن وأنه لا يخلق من كثرة الرد، ولا يشبع منه العلماء.ثم إن هذا العنوان يلقي بظلاله حول شخصيته، وتفسيره العلمي للآيات، وعقيدته، فكانت أبواب البحث الثلاث، تسبقها هذه المقدمة.

أما الباب الأول فهو في إلقاء بعض الضوء على ظلال من حياته، ثم أصول منهجه العقدي في تفسيره العلمي لآيات القرآن الكريم.

وأما الباب الثاني فهو في التفسير العلمي لآيات القرآن الكريم عند الدكتور النجار، والخلاف حول شخصه من خلال هذه القضية وفك غموضها.

وأما الباب الثالث فهو في منهج الدكتور النجار في إثبات العقيدة من خلال تفسيره العلمي لآيات القرآن الكريم.

وبعد، هذا هو البحث بألوانه ومضامينه رسمت فيه حياة عالم وعلمه، إنها حكاية الكفاح من أجل القيم حين تكون صَخَّابة بالخفق، مولودة بالتحدي، تزرع الخير في كل الجهات.

لقد كان تتطوافا حافلا حاولنا أن نخلِّصه من المعاناة لنسكبه في قالب نقي، بقدرة تملك أن تواجه الإسقاطات والمغالطات التي اعترضت حياة عالمنا.

وأتمنى أن يجد القارئ والسامع في نهاية هذا البحث اتكاءةً يسترخي في تضاعيفها بعد كل ما سيقال.. فقد أردت أن أنطلق بهذه الشخصية الرائعة من عتمة التعب إلى مساحات الضياء، فإن وفِّقت وإلا سيظل التطلع مستمرا أن يقيض الله لهذا العالم الجليل من هو أقدر مني، وهو يستحق ذلـــك.. وسأصغي بنبضي لكل ملاحظة أو إضافة أو تعديل، وسأعتز بحصيلة استمزاج هذه الأفكار والآراء لمنح الصدق والوفاء.

اللهم إنا نعوذ بك من أن نزل أو نزل، أو نضل أو نضل، أو نظلم أو نظلم، أو نجهل أو يجهل علينا.

اللهم أعزنا بالإسلام، وأعز بنا الإسلام، اللهم أعل بنا كلمة الإسلام، وارفع بنا راية القرآن.

اللهم اختم بالصالحات أعمالنا، وبالسعادة آجالنا، وبلغنا مما يرضيك آمـــالنا، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الباب الأول

التعريف بالدكتور النجار، وأصول منهجه.

وفيه فصول:

الفصل الأول: التعريف بالدكتور النجار.

الفصل الثاني: أصول منهج الدكتور النجار العقدي في تفسيره العلمي لآيات القرآن الكريم.

الباب الأول
التعريف بالدكتور النجار، وأصول منهجه

الفصل الأول: التعريف بالدكتور النجار

نستمد معظم أسباب إيماننا بالأشخاص من سيرة حياتهم، وكشف جوانب خطاهم لتتحدد مجموعة خطواتهم، وهي بالنسبة للدكتور النجار فتوح علمية لبدء مرحلة جديدة في تاريخ الدعوة.. وإن خير ما يصاغ هنا هو حديث أطارحكم إياه عن حياته الشخصية.

فهو زغلول راغب محمد النجار، ولد في مركز بسيون بمحافظة الغربية في ١٧ نوفمبر عام ١٩٣٣م، وقد رسم منذ البداية ملامح تربيته ونوعها حينما يصف نشأته الدينية والتي أسلمته إلى حياة علمية وعملية متميزة إلتقى فيها بأساتذة فضلاء من أمثال الأستاذ الدكتور إبراهيم عبد القادر محمد فرج، والأستاذ الدكتور محمد إبراهيم، والأستاذ الدكتور محمد أحمد الغمراوي، ولعل هذا يفسر بعد ذلك علاقته القوية بالإعجاز العلمي بعامة والتفسير العلمي بخاصة كما تقلد الكثير من المناصب والوظائف العلمية وكان له العديد من العضويات التي ترجمت إلى إنتاج علمي غزير إلا أننا لا نستطيع أن نتجاوز حياته الشخصية والعلمية دون أن نقف عند نقطتين هامتين تركت أثرهما في حياته:

النقطة الأولى: أن الدكتور النجار لم يعش كما يعيش عامة الناس بل إن تربيته وبيئته تركت أثرا واضحا في اتجاهه فإذا هو يعيش في عالم خاص به من صنع القيم والمبادئ التي تغذى بها وهذا هو الركن الأول في بناء أصالة شخصيته.

أما النقطة الثانية: فكانت المحن والأحداث السياسية في تلك الفترة الصعبة والتي تفسر تنقله الكبير في الوظائف وخاصة في بدايات حياته العملية.. وهي الأحداث التي في ظلها يتفاضل الناس وتثبت القيم، والتي لا تبدو على حقيقتها إلا في مثل هذه الظروف، فتسكن في المحن وتستكين في الصبر. ثم بعد ذلك أثمر هذا الغرس ما أثمر، عطاء مُطَّرد، وعطاء خاصا بموضع دون موضع.

الفصل الثاني: أصول منهج الدكتور النجار العقدي في تفسيره العلمي لآيات القرآن الكريم

يتلخص منهج الدكتور النجار في إثباته لمسائل العقيدة من خلال تفسيره العلمي لآيات القرآن الكريم والتي تمثل أكثر الأشياء التماعا، وأشد الأصوات تصدية. والتي تُنتج من وراء آرائه وأفكاره ومعانيه ظلالا تمثل منهجا واضحا في العقيدة، ومرجع الحكم في هذا هو التالي:

أولا: الاعتصام بالكتاب والسنة، والعمل بهما وتحكيمهما في أصول الدين وخاصة ما يتعلق منه بتفسير الآيات القرآنية حيث يقول – حفظه الله –: "لابد من توظيف كل من الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة المتعلقة بالموضوع الواحد في فهم النص القرآني، لأن القرآن الكريم يفسر بعضه بعضا كما تفسره أقوال رسول الله ﷺ، والأصل عدم التكلف أو لي أعناق الآيات.. لأن القرآن الكريم أعز علينا وأكرم من ذلك انطلاقا من كونه كلام الله الخالق ..."(١).

كما لوحظ أنه من أشد الناس تمسكا بالسنة مع الطرح العلمي الدقيق، وعدم التساهل في قبول الأحاديث إلا ما صح منها، مع الأدب الملفت عند ذكره لحديث رسول الله ﷺ.

بالإضافة إلى دقة الاستنباط وصحة الفهم، والثبات غالبا في كل طرح على الأسس العقدية..وقد قبل كثير من العلماء أقواله واستنباطاته في كثير مما طرح.

ثانيا: الرجوع إلى فهم السلف الصالح لنصوص القرآن، وهي قاعدة أساسية في منهج السلف – ﷺ – وتحري متابعتهم والتأصيل من خلال آرائهم بالاعتماد على كتب التفسير المأثورة أولا كتفسير الطبري، وابن كثير التي تعتبر ميزانا لبقية التفاسير التي رجع إليها الدكتور النجار خاصة وأنه يهتم بالقضايا العلمية والتي غالبا ما تكون في غير كتب المأثور مما جعله يعتمد على غيرها من التفاسير كتفسير الرازي والجوهري، لكن الملاحظ أنه لا يأخذ إلا ما وزنه بميزان السلف لأن هذا هو ما حثوا عليه (فإن من عني بحفظ السنن والأحكام المنصوصة في القرآن، ونظر في أقاويل المفسرين وجعلها عونا له على اجتهاده ومفتاحا لطريق النظر، وتفسيرا لمجمل السنن المحتملة للمعاني، و لم يقلد أحدا منهم تقليد السنن التي يجب الانقياد إليها على كل حال دون نظر، و لم يرح نفسه مما أخذ العلماء به من أنفسهم من حفظ السنن، وتدبرها، واقتدائهم في البحث والفهم والنظر والشكر لهم سعيهم فيما أفادوه ونبهوا عليه، وحمدهم على صوابهم الذي هو أكثر أقوالهم، و لم يبرئهم من الزلل عما لم يبرئوا أنفسهم منه، فهذا التمسك بما عليه السلف الصالح، وهو المصيب لحظه والمعاين لرشده، والمتبع لسنة نبيه ﷺ وهدي صحابته (٢).

ثالثا: عدم الخوض في المسائل الغيبية مما لا مجال للعقل فيه، والتأكيد على أن العقل له وظيفة أساسية في فهم النصوص والتفكر في آيات الله المشاهدة، يقول – حفظه الله –: "أن الآيات المتعلقة بصفات الله، وبالآخرة، وبالملائكة والجن وغير ذلك من الأمور الغيبية ... غيبة مطلقة لا يملك المسلم إلا الإيمان بها، والتسليم في فهمها لنص القرآن الكريم أو للمأثور من تفسير المصطفى ﷺ، لأن الإنسان لا يمكن أن يصل إلى عالم الغيب المطلق إلا ببيان من الله الخالق، وذلك لأن قدرات عقل الإنسان المحدودة وحواسه المحدودة لا يمكن لها اجتياز حدود عوالم الغيوب المطلقة مهما أوتي الإنسان من أسباب الذكاء والفطنة، ومن هنا كان امتداح القرآن الكريم للذين يؤمنون بالغيب ..." (٣).

وهذه كما ذكرنا قاعدة أساسية في منهج السلف لإثباتهم العقيدة يقول الشاطبي: إن الله جعل للعقول في إدراكها حدا تنتهي إليه لا تتعداه، ولم يجعل لها سبيلا إلى الإدراك في كل مطلوب ويؤكد سلفنا الصالح، أن أعمال العقول في القضايا الغيبية ضلال عن الطريق الصحيح، ولو كان العقل يستطيع أن يعرف ذلك لم يكن هناك فائدة من إرسال الرسل، ولأن العقل لا يستطيع أن يستقل بنفسه بغير استعانة بالوحي الإلهي والاهتداء بنوره، ولذلك لابد أن يكون العقل خاضعا للشرع(٤).

رابعا: الإعراض عن مجادلة الخصوم مهما كانت ضراوة الخصومة، حيث تميز حفظه الله بالأدب الجم والخلق الرفيع مع هؤلاء الخصوم، مع قساوة الاتهامات وشدتها والتي تصل أحيانا إلى التكفير، وفي هذا امتثال لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾(٥) يقول القرطبي: "فيه النهي عن مجالسه أهل الخصومات"(٦). وقال ﷺ: «إن أبغض الرجال إلى الله الألدُّ الخصم»(٧).

خامسا: إثباته للأسماء والصفات وتفويض كيفيتها، يقول – حفظه الله – إن القرآن الكريم يطالب الناس جميعا... بعبادة الله وحده بإخلاص وتجرد تامّين بغير شريك، ولا شبيه ولا منازع، ولا صاحبة ولا ولد، لأن هذه كلها من صفات المخلوقين، والله تعالى منـــزه عن جميع صفات خلقه، وعن كل وصف لا يليق بجلاله، ولذلك فهو – سبحانه وتعالى – لا يقبل من عباده إلا التوحيد الخالص لذاته العلية(٨).

إلا أنه – حفظه الله – يقول في موضع آخر: "وهذا الخالق العظيم لابد وأن يكون مغايرا لكل خلقه فلا يحده المكان ولا الزمان، ولا تشكله المادة ولا الطاقة، لأنه تعالى خالق كل ذلك ومبدعه، هذا الخالق العظيم لا يشبهه أحد من خلقه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾(٩)" (١٠).

ولا شك أنه قد استخدم ألفاظا مبتدعة حين قال: "لا يحده الزمان ولا المكان.. ولا تشكله المادة ولا الطاقة) فهذه لم يرد بنفيها ولا إثباتها كتاب ولا سنة، والواجب في باب الصفات الاعتصام بالألفاظ التي ورد بها النص في الإثبات والنفي.

بالإضافة إلى أن الدكتور النجار رام التنَزُّيه لله سبحانه وتعالى بإنكار الحد والذي يلزم منه إنكار استوائه سبحانه على عرشه والذي قال فيه: – حفظه الله – أن المقصود به هو رمز للسيطرة الكلية(١١)، وسيأتي الرد على ذلك.

والحاصل أن: الدكتور النجار بالرغم من أنه أظهر اعتناءه البالغ بعلم الأثر والتأكيد على مذهب السلف في كل ما يتعلق بأسماء الله وصفاته والذي غاب كثيرا من التورط في آراء منهج الخلف العقدي، لكن يصعب أحيانا التخلص تماما من جميع أوضار البيئة التي تميل إلى المذهب الأشعري والتي أثرت على رأيه – حفظه الله – في بعض المسائل العقدية، كرأيه في صفة الحياء والاستواء وإنكاره للحد ولكن عن اجتهاد منه وحسن نية، ظاناً أنه الصواب.

سادسا: الاستدلال بالعقل، والذي يرى فيه – حفظه الله – واجب شرعي في فهم آيات القرآن الكريم وخاصة ما يتعلق منها بالنظر والتدبر الذي أمرنا الله به، فيقول ما نصه: " تقرير القرآن مسؤولية الإنسان عن حواسه، وذلك بقوله تعالى: "إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا(١٢)"(١٣).

ويقول في موضع آخر: "يرفض القرآن التقليد والجمود على الآراء الموروثة الخاطئة والحكم بالظن والهوى، ومطالبته دوما بتأسيس الأحكام على الدليل العقلي الذي لا يقبل النقض"(١٤).

وقد كان السلف الصالح رضوان الله عليهم يرون أن "القرآن جاء بالأدلة العقلية على أكمل وجه"(١٥) وأنه "ليس فيه ما يخالف العقل الصريح ولكن فيه ألفاظ قد لا يفهمها بعض الناس، أو يفهمون منها معنى باطلا، فالآفة منهم، لا من الكتاب"(١٦).

ومن خلال تتبعي لكتاباته – حفظه الله – ومقالاته وهو المتهم بالجنوح في استخدام العقل، وجدته على منهج السلف في إنصاف العقل وإنزاله منْزلته، وهو برئ مما أتهم به، بل هو مخالف لكل من ذهب إلى جعل العقل حاكما على النص، بل كثيرا ما يقرر أن الأصل هو النص فيقول: "إن القرآن الكريم هو في الأصل كتاب هداية للإنسان في القضايا التي لا يمكن للإنسان أن يضع لنفسه فيها ضوابط صحيحة، مثل: قضايا العقيدة والعبادة والأخلاق والمعاملات، والتي تشكل القواعد الأساسية للدين وذلك لأن هذه القضايا إما أن تكون من أمور الغيب المطلق الذي لا سبيل لوصول الإنسان إليه إلا عن طريق وحي السماء، أو هي أوامر تعبدية لابد وأن تكون توقيفية على الرسول ﷺ"(١٧).

سابعا: الاستدلال باللغة، حيث تعتبر معرفة اللغة أساسا في فهم الكتاب والسنة لأنهما نـــزلا بلسان عربي مبين، وكثير من الخلافات الواقعة بين العلماء في المسائل العلمية والعملية ترجع إلى الاختلاف في فهم دلالات الألفاظ في اللغة، والتي كانت احدي الأدلة التي كان – حفظه الله – يستدل بها في مسائله العقدية، وبخاصة في ترجيح بعض المسائل التي وقع فيها الخلاف، فيستدل بمدلولات اللغة حول معنى الخُنَّس والكُنَّس في قوله تعالى: ﴿فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ۞ الْجَوَارِي الْكُنَّسِ﴾(١٨) من خلال تتبع المعنى في قواميس اللغة فيقول – حفظه الله –: "جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس وفي غيره من معاجم اللغة تعريف لغوي للفظي الخنس والكنس يحسن الاستهداء به في فهم مدلول "الخنس الجوار الكنس" كما جاءا في آيتي سورة التكوير على النحو التالي ...". ثم يستعرض المعاني اللغوية ويختمها بقوله: "ومع جواز هذه المعاني كلها إلا أني أرى أن الوصف في هاتين الآيتين ينطبق انطباقا كاملا مع حقيقة كونية مبهرة تمثل مرحلة خطيرة من مراحل حياة النجوم يسميها علماء الفلك اليوم باسم الثقوب السوداء وهذه الحقيقة لم تكتشف إلا في العقود المتأخرة من القرن العشرين وهي شهادة صدق على أن القرآن كلام الله، وأن سيدنا محمدا بن عبد الله كان موصولا بالوحي..."(١٩).

ويقول: – حفظه الله – في معرض شرح منهجه في تفسيره العلمي لآيات القرآن الكريم: "أتعرض للألفاظ اللغوية الغريبة في الآية التي أتعرض لتفسيرها، لأن معرفة وفهم دلالة الألفاظ أمر مهم، ولا يمكن فهم المعنى العلمي حتى يفهم المعنى اللغوي الصحيح"(٢٠).

بل إنه جعل – رحمه الله – الاستدلال باللغة ضابط من الضوابط اللازمة للتعامل مع قضية الإعجاز العلمي للقرآن وتفسير آياته فقال: "حسن فهم النص القرآني الكريم وفق دلالات الألفاظ في اللغة العربية، ووفق قواعد تلك اللغة العربية، وأساليب التعبير فيها، وذلك لأن القرآن الكريم قد أنزل بلسان عربي مبين"(٢١).

ثامنا: أدبه الجم مع كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ وصحابته وأهل العلم القدماء والمحدثين فلا يأتي ذكر أحد منهم إلا ويلحق ذكره بعبارات مؤدّبة واضحة، فلا يأتي ذكر الله إلا وهو مرتبط بالتنـــزيه، ورسوله بالصلاة والسلام عليه، والصحابة بالترضي، والمعاصرين بالدعاء لهم بأنواعه، وهذا قلما تجده في كتاب وعند كاتب، خاصة في كتب المحدثين.

وأخيرا.. من خلال كل ما مضى نجد أن الدكتور النجار في كل ما طرح موافق لمنهج السلف في عقيدته سائر على منوالهم، وإن كان قد خالفهم في مسائل معدودة عند التطبيق وهو في ذلك مجتهد وحسن النية ظانا أنه الصواب.

الباب الثاني
التفسير العلمي لآيات القرآن الكريم عند الدكتور النجار

وهو متلخص في قضيتين أساسيتين:

القضية الأولى: إن التعريفات المتعلقة بالتفسير العلمي ليست سواء فهي كثيرة ومتنوعة ولا شك أن بعضها أغنى من بعض في رصيد الخبرة، ومن هنا جاء تعريف الدكتور النجار للتفسير العلمي ومقارنته بالإعجاز العلمي من امتيازاته لأنه من خصوصياته وقد اختار له من الضوابط ما يتسق مع الواقع العلمي، حين قال أن المقصود بالتفسير العلمي: "توظيف كافة المعارف الكونية الصحيحة والمتاحة في تفسير الآيات الكونية الواردة في كتاب الله، سواء كانت هذه المعارف من الحقائق والثوابت العلمية أو النظريات والفروض والمشاهدات(٢٢)"، ويقول في موضع آخر: "هو توظيف كل المعارف المتاحة للإنسان في كل عصر من العصور، وفي مختلف مجالات الدراسات العلمية – البحثية منها والتطبيقية – في حسن فهم دلالات الآية القرآنية" (٢٣)، رادا على تعريفات من سبقوه، ومفرقا بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي، خاصة أن الكثير ممن يعترضون عليه يخلطون بينهما فيورد البعض عبارة الإعجاز العلمي بدلا من التفسير العلمي، وأحيانا عبارة التفسير العلمي وهم يقصدون الإعجاز العلمي، ومثال على ذلك، ما حدث من الدكتور خالد منتصر حين قال موجها خطابه للدكتور النجار فيما يسمى بالحوار المتمدن "لا ينفع معها – أي اللغة – ما يدعيه الإعجازيون من أنهم يستخدمون التأويل أو المجاز في إثبات الإعجاز العلمي"(٢٤)، وهو لا شك يقصد هنا التفسير العلمي.

ومن هنا لا بد من التفريق بينهما،فالتفسير العلمي هو مثار البحث والمناقشة وأما الإعجاز العلمي فهو أمر مسلَّم لا جدال فيه ولا إشكال، ذلكم أن كتابا أنزل قبل أربعة عشر قرنا من الزمن وعرض لكثير من مظاهر هذا الوجود الكونية كخلق السماوات والأرض وخلق الإنسان وسوق السحب وتراكمه ونزول المطر وجريان الشمس والقمر، وتحدَّث عن الكواكب والنجوم والشهب وأطوار الجنين، والنبات والبحار وغير ذلك كثير، ومع ذلك لم يسقط العلم كلمة من كلماته و لم يصادم جزئية من جزئياته، فإذا كان الأمر كذالك فإن هذا بحد ذاته يعتبر إعجازا علميا للقرآن.

هذه النتيجة المتولدة عن أن القرآن لم ولن يصادم حقيقة علمية لم أر بين علماء المسلمين من أنكرها لا في القديم ولا في الحديث وكل ما يثار من ضجة وما يسطر في الصحف ما هو إلا عن التفسير العلمي لا عن الإعجاز العلمي(٢٥).

هذا ما أحببنا أن نشير إليه، والذي توقف عنده الدكتور النجار كثيرا في كتاباته فقال: في جانب الإعجاز نحن لا نوظف إلا القضايا التي حسمها العلم والتي لا رجعة فيها، وبما أن العلم لم يحسم كل قضية فلا نستطيع أن نتحدث فيها بإعجاز، ولكن بالتفسير العلمي الذي يجوز استخدام النظرية فيه حتى لو تغيرت ولا حرج في ذلك، لأن الذين فسروا قبلنا باللغة أصابوا وأخطأوا والخطأ في التفسير لا يحسب على دلالة القرآن، وإنما يحسب على جهد المفسر وفهمه(٢٦).

ويقول في موضع آخر: إن التفسير جهد بشري لحسن فهم دلالة الآية القرآنية إن أصاب فيه المفسر فله أجران وإن أخطأ فله أجر واحد، ولهذا يجوز للمفسر استخدام كل الوسائل المتاحة له سواء كانت حقائق علمية أم فروض ونظريات ما دام صدق النية والتجرد قد توفر وما دام أنه قد استعان بالأدوات اللازمة للتعرض لتفسير كلام الله.

أما الإعجاز العلمي للقرآن فهو موقف تحد نثبت فيه للناس كافة – مسلمين وغير مسلمين – أن هذا الكتاب الذي أنزل قبل أكثر من ألف وأربعمائة سنة على نبي أمي في أمة كانت غالبيتها الساحقة من الأميين يحوي من حقائق هذا الكون ما لم يستطع الإنسان أن يصل إلى شيء من إدراكه إلا منذ عشرات قليلة من السنين وبعد مجاهدة استغرقت جهود أعداد كبيرة من العلماء في فترات زمنية طويلة، وهذا الموقف المتحدي لا يجوز أن يوظف فيه إلا الحقائق العلمية القاطعة التي حسمها العلم و لم تعد مجالا للخلاف لأنه إذا وظفت فيه الفروض والنظريات وهي عرضة للتغيير والتبديل انهارت القضية وبطل التحدي بل انقلب على القضية التي استخدمه من أجل الانتصار لها(٢٧)، ومن هنا يتضح الفارق الكبير بين القضيتين.

نتساءل بعد ذلك هنا، هل القضية صعبة الفهم، وما هو نوع الصعوبة؟

فنقول: أن هناك صعوبة منشؤها التعبير، وهناك صعوبة منشؤها التصور، والصعوبة الأولى سهلة ميسورة الحل، وعلاجها هو الدراسة التي قدمناها في التفريق الدقيق بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي.

أما الصعوبة الثانية فهي العسيرة حقا لأنها تتعلق بما هو أعمق من الألفاظ والعبارات ذلك أن خصوصية النظرة والمرتبطة بالأحكام المسبقة الغير متجردة تجعل الرافضين يوزعون التهم ويتبنون الرفض على غير أسس وقد يكون في الأمر تدليس في بعض الجوانب وهذا واضح مثلا في كثير من الردود حول معنى الدحو في قوله تعالى: ﴿وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾(٢٨) حيث يُنَاقش الدكتور باعتباره شرحها بالتكوير والتدوير مصححين له بأنها البسط و لم نجد للدكتور إلا هذا المعنى والذي أكده في كثير من كتاباته.

القضية الثانية: ما تعيشه تفسيرات الدكتور النجار من رفض تارة وقبول تارة أخرى أما الرافضين لتفسيرات النجار العلمية والذين وجهوا له الخطاب مباشرة معتبرينه زعيم الإعجازيين وسن الحربة ومقدمة الرمح المسنون اللامع في هذه الحرب الحلم، على حد قولهم، فإن هؤلاء كانوا من بعض المتخصصين في العلوم الشرعية والإسلامية، وبعض علماء الأزهر، وبعض الكتاب،مطالبين الدكتور النجار بترك الدين لعلمائه، لأنه – على حد زعمهم – يحاول دائما أن يربط الأحداث بما وراء العلم والمعرفة بدون سند ديني(٢٩).

أما عن تفسيراته العلمية، فقد تطرف البعض حتى سماها "تخابيص" تعدت التفسير الجيولوجي في القرآن باعتباره من صميم تخصصه إلى التفسير الفيزيائي والكيميائي والفلكي إلى آخر ما هنالك.

يقول أحدهم للدكتور النجار: "... إن استعمال اللغة المتعسف ... ولوي عنق العبارات لتتفق مع تفسيرات سماسرة الإعجاز، كل هذا خلق فجوة واسعة وعميقة بيننا وبين فهم القرآن على حقيقته، وحول المسألة إلى لعبة ... نستطيع بها إخراج أي معنى مسبق في أذهاننا بمجرد فرد الكلمة وثنيها وتشكيلها ... حتى تخدم أوهام البعض العنصرية المريضة بداء التفوق المزيف المخلوق من سراب..."(٣٠).

بالإضافة إلى نصوص كثيرة تقيِّم تفسيراته لكنها تجاوزت الخطاب العلمي والحوار الهادف إلى ما لا يليق بالمقام ولا ينبغي أن يورد ويكفي ما قيل لإبراز دور الرافضين لهذا النوع من التفسير والذي اعتبروه ليا لأعناق الألفاظ وتعسفا في تفسيرها، وهذا – على حد قولهم – يتعارض ويتناقض مع جوهر فكرة القرآن الذي خاطب الواقع وتفاعل معه.

وهذا الرفض ليس جديدا بل هو قديم جديد، يقول الدكتور خالد منتصر رادا على

كتابات النجار: "فكرة أنه لا يوجد في القرآن إعجاز علمي فكرة قديمة ليست وليدة اليوم ولست أنا أول من رددها، ولكن رددها من قبل أناس لا يمكن أن نشكك في إسلامهم وغيرتهم على دينهم، وقد أحس الكثير من المفكرين المسلمين المستنيرين بخطر هذه المحاولة المتعسفة التي تحمل بداخلها ديناميت شديد الانفجار وأول ما سيفجره هذا الديناميت هو الدين نفسه"(٣١).

ثم أورد رأي كل من الشيخ الراحل الإمام محمد شلتوت الرافض للتفسير العلمي (٣٢)، والدكتورة بنت الشاطئ(٣٣).

وأما المؤيدين والذين سماهم النجار الموسِّعين فهم أيضاكثر من أمثال الأستاذ عبد الرزاق نوفل (٣٤) وقبله كان الجواهري والذي تطرف في التأييد(٣٥) وكل من الفريقين عالج الموضوع بطريقته وطاقته وبين الطريقتين وبين الطاقتين تصح الموازنة ويصح الاختيار لنتساءل بعدها أليس هناك منهج وسط بين هذا الإفراط وذاك التفريط؟ وما هو رأي الدكتور النجار في ذلك؟ فما زلنا متفائلين بقدرة الوعي على عودة الرأي المتجرد والنقي، ما زلنا ننتظر.

فمع التسليم بأن تلك الإشارات لم ترد في القرآن الكريم بهدف التبليغ بالحقيقة العلمية، ومع التسليم بأن الإشارات الكونية في القرآن الكريم قد وردت في معرض التذكير بقدرة الله وبديع صنعه، فإنها تبقى بيانا من الله، خالق الكون ومبدع الوجود، ومن ثم فهي كلها حق مطلق. ولا غرابة إذن من انسجامها مع قوانين الله وسننه في الكون، ومع معطيات العلوم الثابتة عن حقائق هذا الكون، والذي بدأ إعجازه العلمي يتجلى يوما بعد يوم في عصر العلم الذي نعيشه، ليقيم الحجة على أهل هذا العصر، وأن هذا النبي الخاتم والرسول الخاتم الذي تلقاه كان موصولا بالوحي مصداقا لقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نزلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾(٣٦).

الباب الثالث

منهج الدكتور النجار في إثبات العقيدة

من خلال تفسيره العلمي لآيات القرآن الكريم

وفيه تمهيد، و فصول:

- **الفصل الأول**: منهج الدكتور النجار في تعريف التوحيد.
- **الفصل الثاني**: منهج الدكتور النجار في توحيد الربوبية واستدلالاته
- **الفصل الثالث**: منهج الدكتور النجار في توحيد الألوهية.
- **الفصل الرابع**: منهج الدكتور النجار في توحيد الأسماء والصفات:
  ١. صفة الاستواء.
  ٢. الحد.
  ٣. صفة الحياء.
- **الفصل الخامس**: منهج الدكتور النجار في بقية أركان الإيمان.

  وفيه مباحث:

  المبحث الأول: الإيمان بالملائكة.

  المبحث الثاني: الإيمان بالكتب.

  المبحث الثالث: الإيمان بالرسل.

  المبحث الرابع: الإيمان بالقضاء والقدر.

  المبحث الخامس: الإيمان بالبعث.

الفصل الأول: منهج الدكتور النجار في تعريف التوحيد

إن توحيد الله تعالى هو أصل أصول الدين، وأخطر مسائله على الإطلاق، إذ من أجله خلق الله الإنس والجن، وبعث الأنبياء والرسل، وأنزل الصحف والكتب وأوجد الجنة والنار.

وقد أدرك السلف الصالح من هذه الأمة الخطورة البالغة للتوحيد، فعملوا على تحقيقه في واقع حياتهم، وجاهدوا في سبيل نشره وتثبيته في النفوس، وصنّفوا في توضيح معالمه ودفع شبه المبطلين عنه.

وكذلك فعل من أتى بعدهم ممن نهجوا منهجهم من الأئمة والعلماء إلى يومنا هذا، ليبقى جناب التوحيد مصونا، ومناره عالية، ولئلا يكون لأحد حجة على الله بعد ذلك.

ومن هؤلاء المعاصرين الدكتور النجار الذي تبنى ما تبنوه، وعمل على تحقيقه كما عملوا، فقال: إن التوحيد هو أول أسس العقيدة الصحيحة، وهو توحيد الله الخالص بغير شريك ولا شبيه ولا منازع، ولا صاحبة ولا ولد ...(٣٧).

بل إن أهمية التوحيد تتأكد لكونه من مقتضيات الإيمان بالله، توحيدا مطلقا فوق كل خلقه وتنـــزيهه عن وصف لا يليق بجلاله من مثل الادعاء الكاذب له بالشريك(٣٨).

وقد جاء كلام الدكتور النجار حول المقصود بالتوحيد مرة مجملا، ومرة مفصلا، في مواضع كثيرة جدا من كتاباته، لكن كلامه كله يدور حول ما دار عليه السلف، والذي ملخصه، وصف التوحيد: بأنه نفي التشبيه عن الله الواحد.

يقول شيخ الإسلام – رحمه الله –: "التوحيد: نفي التشبيه عن ذات الموحد وصفاته"(٣٩). ويشرح ذلك رواية عن أبي الحسن البوشنجي حين قال: "التوحيد: أن يُعلم أنه غير مُشْبه للذوات ولا منفي الصفات"(٤٠).

وهذا ما شرحه الدكتور النجار في تفسيره للآيات العلمية حين قال في التوحيد: "هو الإيمان بالله تعالى ربا خالقا، واحدا، بغير شريك ولا شبيه ولا منازع ولا صاحبة ولا ولد، وأن هذا الإله الخالق هو الحق، وهو القوي العزيز، وأنه تعالى مالك الملك، وأنه هو السميع البصير الذي يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، ويفعل ما يشاء وهو على كل شيء شهيد"(٤١).

والحاصل: إن منهجه – حفظه الله – في تعريف التوحيد حافل بالإيماءات والإشارات التي تضم أجمع الكلام وأبينه في إثبات الوحدانية لله تعالى في ذاته وصفاته، وفي ألهيته وربوبيته،

مع نفي الشريك والتشبيه عنه في ذلك كله.

الفصل الثاني: منهج الدكتور النجار في توحيد الربوبية، واستدلالاته

توحيد الربوبية هو أحد أنواع التوحيد الثلاث، وهو أحد قسمي توحيد المعرفة والإثبات المسمى بالتوحيد العلمي الخبري (٤٢) أو التوحيد الاعتقادي القولي(٤٣).

وهذا التوحيد قائم على إثبات وجود الله تعالى واعتقاد تفرده بالخلق والملك والتدبير والتصرف المطلق في أمور الكون، فهو الرب وحده ولا رب سواه، والخلق جميعا مقهورون تحت قبضته فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه (٤٤).

وهذا النوع من التوحيد هو كالأساس بالنسبة لبقية أنواع التوحيد، وهو منها كالمقدمة من النتيجة فإن أول ما يتعلق القلب، يتعلق بتوحيد الربوبية ثم يرتقي إلى توحيد الإلهية والأسماء والصفات ولا يغلط في الإلهية والأسماء والصفات إلا من لم يعُط الربوبية حقها(٤٥) وقد بين الدكتور النجار من خلال كتاباته ومناقشاته حقيقة الربوبية وأنها مختصة لله تعالى دون سواه، فيقول – حفظه الله –: "عقيدة التوحيد ... هي عقيدة الإيمان بالله الخالق، الواحد الأحد، الفرد، الصمد....الخالق على أساس من الحق الذي قامت به السموات والأرض وكل ما فيهما من صور الخلق"(٤٦).

ويقول في موضع آخر: هي وحدانية الخالق العظيم... وتتراءى في جميع جنبات الكون وفي كل أمر من أموره، في السموات، وفي الأرض، وفي الأنفس وفي الآفاق، في كل سنة من سنن الكون، وفي كل ناموس من نواميسه، وفي كل جزئية من جزيئاته، من الذرة إلى الخلية الحية، إلى المجرة، كما تتراءى في وحدة بناء الكون، ووحدة لبناته وتآصل عناصره(٤٧).

وهذا هو معنى توحيد الربوبية في الشرع: إفراد الله تعالى بالربوبية على ما تقتضيه من المعاني الكثيرة(٤٨). فالله سبحانه وتعالى هو الرب وحده لا شريك له، بمعنى أنه "هو الخالق الموجد لعباده، القائم بتربيتهم وإصلاحهم، المتكفل بصلاحهم من خلق ورزق وعافية وإصلاح دين ودنيا"(٤٩)

يقول الدكتور النجار: "الإيمان بأن الله تعالى هو الخالق الرازق، المحي، المميت.. خلق الإنسان في زوجية تشهد للخالق وحده سبحانه بالوحدانية المطلقة فوق جميع خلقه، ومنها: اختلاف ألسنتهم وألوانهم، وإعطاء الإنسان الاستطاعة على النوم بالليل أو في النهار وعلى

ابتغاء فضل الله"(٥٠).

لكن توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية ولا يكفي وحده، وهو التوحيد الذي أقرّ به المشركون يقول الدكتور النجار: "كان كفار قريش يعترفون بأن الله تعالى هو خالق السموات والأرض، وخالق كل شيء، ولكنهم كانوا في نفس الوقت يعبدون الأصنام بدعوى أنها تقربهم إلى الله زلفى وبزعم أنها تشفع لهم عند الله تعالى" (٥١).

يقول الله تعالى مخبرا عنهم: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾(٥٢) وهذا التوحيد لم يذهب إلى نقيضه طائفة معروفة من بني آدم، بل القلوب مفطورة على الإقرار به أعظم من كونها مفطورة على الإقرار بغيره من الموجودات (٥٣) ومن ينكر ذلك منهم من الملاحدة والشيوعيون، فهؤلاء ينكرون في الظاهر ما تقر به فطرهم في الباطن كما قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾(٥٤).

وهكذا نجد أن الدكتور النجار في التعريف بتوحيد الربوبية يتحد مع السلف في التعريف وطريقة التعبير وهي عقيدة دائمة في خاطره وفي حسه يعبر عن حقيقتها ولازمها وأنها مختصة بالله الخالق وحده دون سواه على ما تقتضيه الربوبية من المعاني الكثيرة كمايعتبر الدكتور النجار من أكثر من شغل نفسه بتقرير توحيد الربوبية والاستدلال له، سائرا في ذلك على منهج مقرر وواضح، يستمده من منهج الكتاب والسنة وفهم السلف الصالح، وإن كان أتى فيه بمنهج جديد وهو المنهج العلمي والذي كثر فيه الأخذ والرد إلا انني وجدت له كلاما كثيرا وفي مواضع متفرقة من كتبه ومقالاته – ينتقد فيها منهج من سماهم الموسعين والرافضين ويحاول أن يخط منهجا معتدلا مؤصّلا. أحد أسسه التركيز على وسائل الاستدلال في معرفة الله والتي منها دليل الخلق ويقرر خلاف ما ذهب إليه المخالفين ...

ووجدت بحسب تتبعي أن الأدلة التي ذكرها الدكتور النجار أو أشار إليها في معرفة الله عز وجل وإفراده بالربوبية أربعة أدلة هي دليل الفطرة، دليل المعجزة، دليل النظر، دليل الخلق.

أولا: دليل الفطرة:

تتضمن كتابات الدكتور النجار ولقاءاته بيان أن معرفة الله تعالى والإقرار بربوبيته مركوزة في الفطر البشرية وأن الإنسان يولد مفطورا على توحيد الله تعالى، والاعتراف بأنه الخالق المدبر المتصرف في هذا الكون.

ومعنى ذلك أن معرفة الله تعالى فطرية، وأن الفطرة دليل على وجود الله تعالى، وعلى ربوبيته لخلقه أجمعين.

وقد ذكر الدكتور النجار في مواضع متعددة ما يؤيد هذا المعنى ويثبته. يقول: "إن الله تعالى قد أبقى لنا في أديم الأرض، وفي صفحة السماء من الشواهد الحسية الملموسة ما يمكن أن يعين المتفكرين المتدبرين من بني الإنسان على إدراك حقيقة الخلق ...(٥٥)"، "والتأكيد على سجود كل من في السموات والأرض لله تعالى – طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال"(٥٦) – ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾(٥٧).

ثانيا: دليل المعجزة:

وقد كانت هذه القضية شغله الشاغل – حفظه الله – للاستدلال بها على وجود الله تعالى وتوحيده بل كان كل اعتماده عليها، حيث سلك في إثبات الصانع وحدوث العالم طريق الاستدلال بالمعجزات و لم يكن في ذلك – حفظه الله – إلا متابعا لمنهج السلف الصالح رضوان الله عليهم.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله مؤكدا على أن الاستدلال بالإعجاز على توحيد الربوبية طريقة صحيحة جاء بها القرآن فقال – رحمه الله –: "وأما الطريقة التي ذكرها المتقدمون فصحيحة إذا حررت، وقد جاء بها القرآن في قصة فرعون، فإنه كان منكرا للرب ... فعرض عليه موسى الحجة البينة دليلا على صدقه في كونه رسول رب العالمين، وفي أن له إلها غير فرعون يتخذه".

فبين أن المعجزة تدل على الوحدانية والرسالة، وثبوت الصانع، ولهذا يسبح الرب عندها ويمجد ويعظم مالا يكون عند المعتاد، ويحصل في النفوس ذلة من ذكر عظمته ما لا يحصل للمعتاد، إذ هي آيات جديدة فتعطى حقها، وتدل بظهورها على الرسول، وإذا تبين أنها تدعوا إلى الإقرار بأنه رسول الله فتقرر بها الربوبية والرسالة(٥٨).

ثالثا: دليل النظر:

وهو دليل عقلي، يستدل بآيات الله الكونية. ابتداء من الإنسان نفسه وانتهاء بالأجرام السماوية في أعماق السماء، ثم الانتقال من هذا النظر إلى الإقرار بالرب الخالق المدبر لهذه المخلوقات.

وهذا النظر دليل قطعي، لا يدع مجالا للشك والارتباب في وجود الله تعالى ولا في وحدانيته، لأن في وجود هذه المخلوقات على اختلاف أنواعها وأشكالها دلالة قاطعة على وجود خالقها وعلى قدرته وكماله، وهذا يدركه الإنسان ببديهة عقله من غير حاجة إلى مقدمات منطقية أو فلسفية، ولذلك جاءت الآيات القرآنية الكريمة توجه أنظارنا إلى هذا الكون وتناسقه، لتبين لنا أن وراء هذا كله إله خالق مدبر قادر.

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾(٥٩)(٦٠).

وعلى هذا فلم يقف الدكتور النجار في الاستدلال على توحيد الربوبية عند دليل واحد، كدليل الفطرة أو النظر وإنما كان يركز على دليلي النظر والمعجزة، ويتعرض لذلك دائما، بل هما أدواته لبيان ما يدل على توحيد الربوبية، ونقل في ذلك الكثير من الآراء العلمية في الغرب والشرق يصل بهما ويربطهما بقضية حدوث العالم وبدء الخلق والرد على من يقول بقدم بعض المخلوقات أو يزعم أن بعضها هو الخالق من الماديين والطبيعيين، يقول – حفظه الله –: "في ظل سيادة الاعتقاد الخاطئ بأن الكون الذي نحيا فيه كان منذ الأزل وسيبقى إلى الأبد، وأنه كون لا نهائي، لا تحده حدود، وأنه كون ساكن ثابت في مكانه، لا يتغير، وأن النجوم مثبتة في السماء التي تدور بنجومها كقطعة واحدة حول الأرض، وأن الكون شامل للعناصر الأربعة: التراب، والماء، والهواء، والنار، وحول هذه الكرات الأربع تدور السماء بنجومها، وغير ذلك من الخرافات والأساطير في هذا الوقت جاء القرآن الكريم مؤكدا أن الكون مخلوق له بداية، ولابد أن ستكون له في يوم من الأيام نهاية، وأنه محدود بحدود لا يتجاوزها، وإن كنا لا نستطيع أن ندركها، ومؤكدا أن جميع أجرام السماء في حركة دائبة، وجري مستمر، إلى أجل مسمى، وأن السماء ذاتها في توسع إلى أجل مسمى وأن السموات والأرض كانتا في الأصل جرما واحدا ففتقهما الله سبحانه وتعالى فتحولت مادة هذا الجرم الأول إلى الدخان الذي خلقت فيه الأرض والسماء، وأن هذا الكون سوف يطوى ليعود كهيئته الأولى جرما واحدا مفردا ينفتق مرة أخرى إلى سحابة من الدخان تخلق منها أرض غير أرضنا الحالية، وسموات غير

السموات التي تظلنا في حياتنا الدنيا، وهنا تتوقف رحلة الحياة الأولى وتبدأ رحلة الآخرة ومنها الحياة الأبدية الخالدة، خلودا بلا موت وقد لخصّ لنا ربنا سبحانه وتعالى عملية خلق السموات والأرض وإفنائها، وإعادة خلقهما في صياغة كلية شاملة من قبل ألف وأربعمائة سنة"(٦١).

فهذا مثال من أمثلة كثيرة لما ذكره الدكتور النجار – حفظه الله – للاستدلال على وجود الخالق وربوبيته من النظر العقلي، وهو استدلال صحيح وقاطع لكل شبهة تعرض للإنسان في عقيدة توحيد الربوبية.

رابعا: دليل الخلق:

يقول الدكتور النجار: "جاءت مادة خلق بمشتقاتها في القرآن الكريم مائتين وإحدى وستين (٢٦١) مرة لتأكيد أن عملية الخلق هي عملية خاصة بالله تعالى وحده، لا يشاركه فيها أحد ولا ينازعه عليها منازع ولا يقدر عليها غيره إلا بإذنه. هذه الآيات الكثيرة تؤكد أن الله هو خالق السموات والأرض وخالق كل شيء، من مثل قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (٦٢)، وقوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾(٦٣).

ومنها خلق السموات والأرض والتي لخص سبحانه وتعالى قصة خلقهما في صياغة كلية شاملة عمليه بخمس آيات من القرآن الكريم وهي الآية السابعة والأربعون من الذاريات والثلاثون من الأنبياء والحادية عشرة من فصلت والرابعة بعد المائة من الأنبياء والثامن والأربعون من سورة إبراهيم.

وتشهد هذه الآيات الخمس بدقة الإشارات الكونية الواردة في كتاب الله وشمولها وكمالها وصياغتها صياغة معجزة يفهم منها أهل كل عصر معنى من المعاني يتناسب مع المستوى العلمي للعصر، وتظل هذه المعاني تتسع باستمرار مع توسع دائرة المعرفة الإنسانية في تكامل لا يعرف التضاد، وهو من أبلغ صور الإعجاز العلمي في كتاب الله(٦٤).

ثم توقف – حفظه الله – عند معنى الخلق الوارد في الآيات من مثل قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا﴾(٦٥)، فقال ناقلا عن عدد من المفسرين والمحدثين أن لفظ خلق هنا يعني التقدير دون الإيجاد بمعنى أن جميع مكونات الأرض من نوى العناصر كانت جاهزة في الدخان الكوني الناتج عن عملية فتق الرتق (الانفجار العظيم)(٦٦). ولو أن كوكب

الأرض لم يكن قد تم تشكيله بعد، ثم توجهت إرادة الله إلى السماء وهي دخان فخلق منها سبع سموات كما خلق الأرض وتؤكد آيات فصلت على أن الأرض قد خلقت من السماء الدخانية على أربعة مراحل متتالية بينما تم تشكيل السماء الدخانية على هيئة سبع سموات على مرحلتين وتم دحو الأرض بمعنى تكوين كل من أغلفتها الغازية والمائية والصخرية بعد ذلك ... وهي مراحل متتالية في تهيئة الأرض لاستقبال الحياة(٦٧).

ومن هنا نجد أن القرآن الكريم كثيرا ما يوجه الأنظار إلى التفكر في عملية الخلق: خلق الكون بسمواته وأراضيه، خلق الحياة، بمختلف أشكالها، وخلق الإنسان بكل ما في جسده ونفسه من أسرار ومعجزات، وما صاحب ذلك كله من مظاهر وموجودات وهي من صفحات كتاب الله المنظورة التي تشهد له سبحانه وتعالى بطلاقة القدرة وكمال الصنعة وشمول العلم والإحاطة(٦٨).

الفصل الثالث: منهج الدكتور النجار في توحيد الألوهية:

بعد الاستدلالات الكثيرة على أن الله هو الخالق، الرازق... يُعرِّج الدكتور النجار على الأساس وهو توحيد الألوهية، فهو كما يقول: يقر كفار قريش بتوحيد الربوبية، لكن الله بعث الرسل من أجل توحيد الألوهية والمتضمن لتوحيد الربوبية، فما دام سبحانه هو الذي خلق وحده، فهو المستحق للعبادة وحده، وهذا ما قرره – حفظه الله – في كتاباته أجمل تقرير، حين يعلق إجمالا على سورة يونس، فيقول: وتؤكد السورة الكريمة أن الله تبارك وتعالى هو خالق السموات والأرض، وخالق كل شيء، ومن ثم فهو سبحانه وتعالى المستحق للخضوع له بالعبادة والطاعة وحده بغير شريك ولا منازع لأنه سبحانه هو الخالق، الرازق، المحي، المميت، وهو الذي إليه مرجع كل الخلائق، ثم يوفيهم حسابهم(٦٩).

ويستشهد بعد ذلك – رحمه الله – بعدد من آيات الله في الآفاق وفي الأنفس على ألهيته سبحانه وتعالى فينقل عن ابن كثير عند قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ...﴾(٧٠) هي "في بيان وحدانية ألوهيته بأنه هو المنعم على عبيده بإخراجهم من العدم إلى الوجود، وإسباغه عليهم النعم الظاهرة والباطنة، بأن جعل لهم الأرض فراشا، والسماء بناء ... ومضمونه: أنه الخالق الرازق مالك الدار وساكنيها ورازقهم، فبهذا يستحق أن يعبد وحده، ولا يشرك به غيره، ولهذا قال: ﴿فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

وأضاف: "أي لا تشركوا بالله غيره من الأنداد التي لا تنفع ولا تضر، وأنتم تعلمون أنه لا رب لكم يرزقكم غيره، وقد علمتم أن الذي يدعوكم إليه الرسول ﷺ من التوحيد هو الحل الذي لا شك فيه(٧١).

وهذا ما ذهب إليه السلف في معنى توحيد الألوهية بأنه العلم والاعتراف بأن الله ذو الألوهية على خلقه أجمعين، وإفراده وحده بالعبادة كلها، وإخلاص الدين لله وحده(٧٢).

الفصل الرابع: منهج الدكتور النجار في توحيد الأسماء والصفات

لا يخفى أن معرفة أسماء الله وصفاته والعلم بهما من أعظم الأمور وأشرفها قدرا وجلالة و علو مكانه، لتعلقها بذات الباري – جل وعلا – يمدح بها ويُسأل بها، وكلما كان العبد عارفا بأسماء خالقه ومولاه وصفاته، فاهما لمعانيهما، مدركا لمدلولاتهما، كان أوعى للعمل بمقتضاهما دعاءً وعبادةً وثناءً.

ومن أصول أهل السنة والجماعة في أسماء الله وصفاته أنها توقيفية، لا مجال للعقل فيها بنفي أو إثبات أبدا، بل ذلك موقوف على نصوص الكتاب وصريح السنة، فما جاء من ذلك مثبتا يجب إثباته والإيمان به وفق الوحيين الطاهرين، وما جاء منه منفيا يجب نفيه وطرحه، وما سكت عنه يجب السكوت عنه وعدم الخوض فيه. يقول صاحب كتاب الحجة: "فلا يسمى – أي الله تعالى – إلا بما سمى به نفسه في كتابه، أو سماه به رسوله ﷺ وأجمعت عليه الأمة، أو أجمعت الأمة على تسميته به، ولا يوصف إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ، أو أجمع عليه المسلمون، فمن وصفه بغير ذلك فهو ضال" (٧٣).

كما أن من أصول أهل السنة إثبات هذه الأسماء والصفات على التفصيل والتعيين والتخصيص (٧٤). وهذا هو مذهب الدكتور النجار من خلال تفسيره للآيات مثبتا لأسماء الله وصفاته على التفصيل، معددا لها، مثبتا لمعانيها، فيقول – حفظه الله –: "من الأسماء الحسنى لهذا الخالق العظيم نجد اسم "الوهاب" أي صاحب الهبات والعطايا الخالية عن الأعواض والأغراض، كما نجد اسم "الرزاق" أي خالق المرزوقين وأرزاقهم، وموصل الأرزاق إليهم وخالق الأسباب التي تمكنهم من التمتع بها، وباقي أسمائه الحسنى – سبحانه وتعالى – تحمل شيئا من تلك المعاني والصفات الربانية ومنها اسم "الفتاح" وهو الذي بيده مفاتيح الغيب

والرزق، ومفاتيح كل منغلق ومشكل، واسم "القابض" و"الباسط" ومن معانيهما قبض الرزق حتى لا تبقى طاقه، وبسطه حتى لا يبقى فاقه، كما يقبض القلوب والأرواح ويبسطهما كيف يشاء، واسما "المعز" و"المذل" الذي يؤتي الملك من يشاء، وينْزعه ممن يشاء، والملك من الرزق، والملك الحقيقي يكمن في الخلاص من ذل الحاجة وقهر الشهوة وعبء الجهل، ونجد من أسماء الله الحسنى اسم "المقيت" ومن معانيه خالق الأقوات وواهبها، واسم "الكريم" ومن معانيه المعطاء زيادة على منتهى الرجاء و"المجيب" ومن معانيه مقابلة مسألة السائلين بالإجابة و"الواسع" ومن معانيه ذو السعة المطلقة من العلم والخير والإحسان وبسط النعم، و"الودود" ومن معانيه الإنعام على سبيل الابتداء بمحبة ورأفة، و"البر" وهو المحسن المتفضل بكل بر وإحسان، و"مالك الملك" أي صاحب المشيئة النافذة والإرادة الغالية"(٧٥).

فالدكتور – حفظه الله – يؤمن بما على التفصيل بما تحمله من كمالات، ويثبتهما أسماءً كلها حسنى، وهذا هو مذهب السلف يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "أسماء الله جميعها حسنى"(٧٦)، لأنها دالة على صفات كمال عظيمة، ولو كانت أعلاما محضة لم تكن حسنى وكل اسم من أسماء الله دال على جميع الصفة التي اشتق منها مستغرق لجميع معناها وكلها أسماء وأوصاف دالة على معانيها وهي أوصاف مدح وثناء(٧٧) تليق به من غير تشبيه، لأن الله تعالى يقول: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ (٧٨).

يقول الدكتور النجار ناقلا عن ابن كثير: "هل تعلم للرب مثلا أو شبها، قال عكرمة: عن ابن عباس: ليس أحد يسمى الرحمن غيره سبحانه وتعالى وتقدس اسمه.. تعالى الله عن السمي وعن النظير فليس له نظير يستحق العبادة، أو يسمى باسم من أسمائه"(٧٩)

فهو سبحانه وتعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾(٨٠). ويقول – رحمه الله – معلقا منـــزها لله تعالى عما يقع فيه بعض البشر من جريمة القياس بمعايير البشر المحدودة على قدرات الله المطلقة، انطلاقا من تشويه معنى الألوهية في معتقداتهم الفاسدة، وحصره في صنم ينحتونه بأيديهم، أو وثن يتخذونه لعبادتهم، أو بقرة أو كوكب أو نجم أو نار يعبدون أياً منها أو يشركونها في عبادة الله الخالق، أو طفل رضيع يبكي ويضحك، وينام ويصحو، ويأكل ويشرب، وله من باقي صفات البشر ماله، والله سبحانه وتعالى منزه عن جميع صفات خلقه، وعن كل وصف لا يليق بجلاله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾(٨١).

ويقول – حفظه الله – في موضع آخر: "إن التكامل في الكون مما يشهد بالوحدانية المطلقة فوق كل خلقه بغير شريك ولا شبيه ولا منازع ولا صاحبة ولا ولد، فقد تنـــزه جلت قدرته عن كل ذلك لأنها جميعا من صفات المخلوقين والله تعالى منَزَّه عن صفات خلقه"(٨٢).

هذا هو مجمل كلام الدكتور النجار في الصفات وهو فيه موافق لمنهج السلف تماما آخذا بما قرروه، لكنني بعدها سأتناول تفصيلا لبعض أقواله في الصفات لعرضها على ما قاله السلف واعتقدوه، وفيما يلي بيانها:

١– صفة الاستواء:

يقول النجار: "والاستواء الإلهي رمز للسيطرة الكلية، والقصد بإرادة الخلق والتكوين، والتسوية للكون بأرضه وسمائه وهو تعالى خالق هذا الكون ومدبره، ربه ومليكه"(٨٣).

ثم يقول معقبا ومؤكدا على أن الاستواء رمز للسيطرة بقوله: "ويأتي ذلك في معرض الاستنكار والاستهجان لكفر الكافرين من الناس بالخالق، المبدع، المهيمن، المسيطر على الكون الذي سخر لهم الأرض بكل ما فيها، وسخر لهم السموات بما يحفظ الحياة على الأرض ويحميها، ويجعل الأرض قراراً لهم" (٨٤).

وقد نقل قول ابن كثير نصا عنه، فقال: "الاستواء هنا يتضمن معنى القصد والإقبال لأنه عُدِّيَ بـــ ... إلى" (٨٥).

ولو قارنا ما تبناه الدكتور النجار بما جاء عند السلف، نجد أن:

الاستواء صفة لله تعالى، أثبتها لنفسه في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ، وأجمع عليها الصحابة والتابعون، وأئمة المسلمين ومن تبعهم(٨٦) ولم يخالف فيه إلا من هو متهم على الإسلام.

والاستواء معلوم معناه في لغة العرب، وإنما المجهول للبشر هو كيفية استواء الله تعالى، ولذلك أثبت السلف الاستواء بمعناه المعلوم في اللغة، وفوضوا الكيفية، كما نقل عن الإمام مالك وغيره من الأئمة، "والاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان واجب، والسؤال عنه بدعة"(٨٧).

يقول الشيخ ابن باز – رحمه الله – في تعليقاته على فتح الباري: "فالنصوص من الآيات في الأحاديث في إثبات استواء الرب سبحانه على العرش بذاته محكمة قطعيه واضحة لا تحتمل

أدنى تأويل، وقد أجمع أهل السنة على الأخذ بها، والإيمان بما دلت عليه على الوجه الذي يليق بالله سبحانه من غير أن يشابه خلقه في شيء من صفاته"(٨٨).

وأما ما أورده الدكتور النجار بقوله: "الاستواء الإلهي: رمز للسيطرة الكلية..المتضمن للقصد والإقبال لأنه عدي بـــ... إلى" كما نقله عن ابن كثير: فهذا لم يصح عن السلف رضوان الله عليهم؛ لأن "استواء الرب على عرشه المختص به، الموصول بأداة (على) نص في معناه لا يحتمل سواه".

والتحقيق في هذا الأمر ما قاله الإمام ابن القيم: أن لفظ الاستواء في كلام العرب الذي خاطبنا الله تعالى بلغتهم وأنزل بها كلامه نوعان: مطلق، ومقيد، فالمطلق: ما لم يوصل معناه بحرف، مثل قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى﴾(٨٩)، وهذا معناه كمل وتمّ، ويقال: استوى النبات، واستوى الطعام.(٩٠)

وأما أنه رمز للسيطرة الكلية فهو مردود لأن الله لـــم يزل مسيطرا غالبا قاهرا. ولازم هذا التأويل أنه كان مغالبا فيه مسيطرا عليه يقهر من غالبه، وهذا منتف عن الله سبحانه وتعالى، يقول الإمام ابن القيم: "فإن السلف يثبتون لله تعالى استواء يليق به كما أخبر تعالى عن نفسه من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تكييف ولا تأويل"(٩١).

ويقول السلف: "لله تعالى استواء على عرشه حقيقة، وللعبد استواء على الفلك حقيقة، وليس استواء الخالق كاستواء المخلوقين، فإن الله لا يفتقر إلى شيء ولا يحتاج إلى شيء، بل هو الغني عن كل شيء"(٩٢).

أما عن معنى الاستواء: فهو العلو والارتفاع.

قال أبو العالية: استوى إلى السماء، أي: ارتفع.

وقال مجاهد: استوى: علا العرش (٩٣).

هذا هو الذي يعلم من معنى الاستواء، وأما الكيفية فلا أحد يعلم بذلك إلا الله سبحانه وتعالى، وهذا هو الذي عليه السلف – رحمهم الله تعالى — في هذه الصفة، وفي غيرها من الصفات إمرارها كما جاءت بفهم المعنى من غير وصف للكيفية.

والحاصل:

أن الدكتور النجار قد حاد عن المنهج الذي اختطّه لنفسه وهو يتكلم عن الصفات بشكل عام والتي وافق فيها السلف تماما إلا أنه خالفهم هنا حين أوّل الاستواء بأنه رمز للسيطرة.

٢- **الحـــد:**

وقد ترتب على ذلك إنكاره للحد فقال – حفظه الله –: "... وهذا الخالق العظيم لابد وأن يكون مغايرا لكل خلقه فلا يحده المكان، ولا الزمان، ولا تشكله المادة ولا الطاقة(٩٤) فهنا نجد أن الدكتور النجار يُنَزِّه الله سبحانه وتعالى بإنكار الحد والذي هو لازم تأويل الاستواء حين قال: "لا يحده المكان، ولا الزمان"، وهذا مردود من وجهين:

أولا: قوله: "لا يحده المكان ولا الزمان ولا تشكله المادة ولا الطاقة"، فيه استخدام لألفاظ مبتدعه لم يرد بنفيها ولا إثباتها كتاب ولا سنة ولا قول صحابي ولا أحد من أئمة التابعين ولا من بعدهم من الأئمة المهتدين الذين يعُتد بقولهم في هذا الباب، وهذه الألفاظ التي لم يرد نفيها ولا إثباتها لا تطلق حتى ينظر في مقصود قائلها فإن كان معنى صحيحا قُبل لكن ينبغي التعبير عنه بألفاظ النصوص دون الألفاظ المجملة إلا عند الحاجة مع قرائن تبين المراد، فإذا تبين هذا فالواجب في باب الصفات إثبات ما أثبته الله ورسوله وما نفاه الله ورسوله نفاه، والاعتصام بالألفاظ التي ورد بها النص في الإثبات والنفي.

ثانيا: إذا تقرر هذا فلابد من ذكر كلام أئمة أهل الإسلام على هذه الألفاظ المبتدعة المخترعة التي أدخلها بعض المنتسبين إلى السنة من أهل الكلام ... ونسبها بعضهم إلى مذهب السلف رضوان الله عليهم، ولذلك لا بد من التفصيل فهو لفظ مجمل موهم مطلق محتمل لمعنيين حق وباطل ولابد من التفصيل، كما قال ابن القيم – رحمه الله تعالى – على هذه الألفاظ المبتدعة المخترعة التي لم ينطق بها سلف الأمة وأئمتها، ويقولون نحن نُنَزِّه الله تعالى عن.. الحدود والجهات ... فيتوهم منها أنهم يُنَزِّهون الله عما يفهم من معانيها عند الإطلاق من العيوب والنقائص فلا يشك أنهم يمجدونه ويعظمونه، ويكشف الناقد البصير ما تحت هذه الألفاظ فيرى تحتها الإلحاد وتكذيب الرسل وتعطيل الرب عما يستحقه من كمال ... ثم يقول رحمه الله تعالى وأما الحدود والجهات فمرادهم تنْزيهه عنها أنه ليس فوق السموات رب ولا على العرش إله، ولا يشار إليه بالأصابع إلى فوق كما أشار إليه أعلم الخلق به ولا ينـــزل منه شيء ولا يصعد إليه شيء ... إذ لو كان كذلك لزم إثبات الحدود والجهات وهو منـــزه عن ذلك(٩٥).

وقال شيخ الإسلام: "وكذلك إذا قالوا إن الله مُنَزَّه عن الحدود والأحياز والجهات أوهموا الناس بأن مقصودهم بذلك أنه لا تحصره المخلوقات ولا تحوزه المصنوعات وهذا المعنى صحيح،

لكن مقصودهم أنه ليس مباينا للخلق ولا منفصلا عنه، وأنه ليس فوق السموات رب ولا على العرش إله ... ونحو ذلك من معاني الجهمية(٩٦). انتهى.

فإذا تبين ذلك نجد أن عبارة الدكتور النجار عبارة محتملة موهمة حين قال: "لا يحده الزمان، ولا المكان". ولا شك أنه أراد بها معنى فيه تنْزيه لله سبحانه، فهو لا تحصره المخلوقات، ولا تحوزه المصنوعات وهذا المعنى صحيح، ولكن المبتدعة قصدوا بها حين استخدامها ما بينه شيخ الإسلام آنفا.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "قد أجمل تبارك وتعالى بالصفة لنفسه فحدَّ لنفسه صفة ليس يشبهه شيء".

وقال الإمام الدارمي: "والله تعالى له حد لا يعلمه أحد غيره ولا يجوز لأحد أن يتوهم لحده غاية في نفسه، لكن يؤمن بالحد وبكل علمه"(٩٧).

وقال في موضع آخر: "من ادعى أنه ليس لله حد، فقد رد القرآن، وادعى أنه لا شيء، لأنه الله وصف حد مكانه في مواضع كثيرة من كتابه"(٩٨).

والحاصل:

أن لفظ الحد من جنس لفظ الجهة والجسم والحيز ونحوها لم ترد في الكتاب والسنة نفيا ولا إثباتا، بل هي من الألفاظ الاصطلاحية الحادثة، فمن أطلق لفظ الحد نفيا أو إثباتا سئل عما أراد به، فإن أريد بالقول بأن لله حد: أنه منفصل عن الخلق بائن منهم فهذا حق كما اتضح من النصوص السابقة، وإذا أريد بنفي الحد أن العباد لا يعلمون لله حدا ولا يحدون صفاته ولا يكيفونها فهذا أيضا حق، وإذا أريد بنفي الحد نفي العلو بمعنى أنه ليس فوق السموات رب ولا على العرش إله فهذا باطل.

٣- صفة الحياء:

يقول الدكتور النجار عند قوله تعالى: "إن الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها....."(٩٩)

يقول ناقلا رأي السيوطي وما تبناه وهو في الحقيقة رأيين وليس رأي واحد حول صفة الحياء لله تعالى والتي تتلخص كما نقل في:

١- ما تبناه الألوسي وما قال به البعض وهو الإمرار والتفويض.

٢- والرأي الثاني: ينقله أيضا عن الألوسي مع التصرف في نص الألوسي فيقول: وذهب جمع من المفسرين إلى تأويله لإرادة لازمه(١٠٠).

والنص كما جاء عند السيوطي كاملا هو: "... والآية تشعر بصحة نسبة الحياء إليه – تعالى – لأنه في العرف لا يسلب الحياء إلا عمن هو شأنه، على أن النفي داخل على كلام فيه قيد، فيرجع إلى القيد فيفيد ثبوت أصل الفعل أو إمكانه لا أقل، وأما في الأحاديث فقد صرَّح بالنسبة، وللناس في ذلك مذهبان:

- فبعض يقول بالتأويل، إذ الانقباض النفساني مما لا يحوم حول حظائر قدسه سبحانه، فالمراد بالحياء عنده الترك اللازم للانقباض، وجوز جعل ما هنا بخصوصه من باب المقابلة لما وقع في كلام الكفرة بناءً على ما روي أنهم قالوا: ما يستحي رب محمد أن يضرب الأمثال بالذباب والعنكبوت.

- وبعض – وأنا والحمد لله منهم – لا يقول بالتأويل، بل يُمر هذا وأمثاله.. مما جاء عنه سبحانه في الآيات والأحاديث على ما جاءت، ويكل علمها بعد التنْزيه عما في الشاهد إلى عالم الغيب والشهادة)(١٠١).

وهذا النص الذي يكاد ينقله الدكتور النجار بكامله يتجاذبه في تقديري:

١- الإثبات إلا أنه غير صريح ودقيق في إثبات الصفة بمعناها لله تعالى.

٢- والتفويض "وتفويض علم كنهه وكيفيته إلى الله تعالى".

٣- والتأويل الذي أورده – حفظه الله عن "جمع من المفسرين" دون تعليق.

وتفصيل الأمر كما سيأتي:

- أما الإثبات فهو واضح، حيث يثبت – حفظه الله – صفة الحياء لله تعالى بقوله: "في الآية إشعار بصحة نسبة الحياء إليه تعالى ...". كما أن هناك تصريحاً في أحاديث رسول الله ﷺ بهذه النسبة، فقال عليه الصلاة والسلام في قصة الثلاثة الذين أقبلوا وهو جالس في المسجد مع أصحابه: «وأما الآخر فاستحيا، فاستحيا الله منه ...»(١٠٢).

لكن هذا الإثبات جاء هنا غير صريح خاصة وإن لفظة "الإمرار والتفويض" قد ارتبطت هنا "بالكنه والكيفية" كما قال دون التطرق إلى معنى الصفة، فقال: "ومذهب السلف إمرار هذا وأمثاله على ما ورد، وتفويض علم كنهه وكيفيته إلى الله تعالى ...".

– ولا شك أنه قد يفهم من كلام الدكتور النجار أنه يقصد تفويض الكيفية كما نص على ذلك لا تفويض المعنى، وهذا مالا يتَّسق مع رأيه العام في الصفات كما أوردنا، ولكني أقف للتوضيح حتى لا يشتبه على القارئ ويلبس عليه الأمر؛ لأن التفويض في نصوص الصفات من الناحية العرفية الاصطلاحية الشائعة يعني على وجه التحديد عند القائلين به: "صرف اللفظ عن ظاهره، مع عدم التعرض لبيان المعنى المراد منه، بل يترك ويفوض علمه إلى الله تعالى، بأن يقول: الله أعلم بمراده"(١٠٣).

وذلك في نصوص الصفات الخبرية التي توهم تشبيها بصفات المخلوقين، وهؤلاء المفوضة هم الذين وصفهم ابن القيم بقوله: "هم الذين قالوا: نصوص الصفات ألفاظ لا تعقل معانيها ولا ندري ما أراد الله ورسوله منها، ما ورد لم نعتقد فيه تمثيلا ولا تشبيها، ولم نعرف معناه، وننكر على من تأوله، ونكل علمه إلى الله"(١٠٤).

وقال في موضع آخر: "هم الذين يقولون لا ندري معاني هذه الألفاظ، ولا ما أريد منها، ولا ما دلت عليه، وهؤلاء ينسبون طريقتهم إلى السلف"(١٠٥).

وفي ذلك يقول الزرقاني "مذهب السلف ويسمى مذهب المفوِّضة" بكسر الواو وتشديدها وهو تفويض معاني هذه المتشابهات إلى الله وحده، بعد تنْزيهه تعالى عن ظواهرها المستحيلة ..."(١٠٦) وقد رد عليهم شيخ الإسلام في هذا الموضع بقوله: "إن قولهم أمروها كما جاءت" يقتضي إبقاء دلالتها على ما هي عليه، فإنها جاءت ألفاظ دالة على معاني، فلو كانت دلالتها منتفية لكان الواجب أن يقال: أمروا لفظها مع اعتقاد أن المفهوم منها غير مراد، أو أمروا لفظها مع اعتقاد أن الله لا يوصف بما دلت عليه حقيقته،وحينئذ فلا تكون قد أمرت كما جاءت، ولا يقال حينئذ بلا كيف، إذ نفي الكيف عما ليس بثابت لغو من القول"(١٠٧).

ونفي الكيفية عن الله تعالى، المقصود به عند أهل السنة والجماعة هو نفي العلم بها وليس المراد أنهم ينفون الكيف مطلقا، فإن كل شيء لابد أن يكون على كيفية ما(١٠٨) "والذي ثبت نفيه بالشرع والعقل واتفاق السلف إنما هو علم العباد بالكيفية، وسؤالهم عن الكيفية التي لا يمكن معرفتها"(١٠٩).

– أما قوله: (علم كنهه) فليست من العبارات المعروفة عند السلف في باب التوحيد ولا شك أن استخدام النجار لها مقصوده إثبات الوحدانية "فنفي الكنه هو نفي الكيفية. والواجب

في مثل هذه الألفاظ المحدثة أن لا يوافق المسلم أحدا على إثباتها أو نفيها حتى يُعرف مراده، فإن أراد حقا قُبل وإن أراد باطلا رُد، وإن اشتمل كلامه على حق وباطل لم يقبل مطلقا و لم يرد جميع معناه، بل يوقف اللفظ ويفسر المعنى(١١٠) وهذه هي طريقة أهل السنة والجماعة في هذا المقام.

– أما التأويل الذي أشار إليه الدكتور النجار ونُسب نقلاً عن الألوسي إلى جمع من المفسرين فقد رد عليه العلامة الشيخ ابن باز – رحمه الله – فقال: "الصواب أنه لا حاجة إلى التأويل مطلقا، فإن الله يوصف بالحياء الذي يليق به، ولا يشابه فيه خلقه كسائر صفاته، وقد ورد وصفه بذلك في نصوص كثيرة، فوجب إثباته له على الوجه الذي يليق به. وهذا قول أهل السنة في جميع الصفات الواردة في الكتب والسنة، وهو طريق النجاة، فتنبه واحذر، والله أعلم"(١١١).

وليس من لازم إيراد هذا الكلام وإيضاحه وشرحه وتفصيله الحكم على صاحبه بأنه مفوض وإنما المقصود ذات المقالة وموقف صاحبها في هذا النص العلمي المعين.

الفصل الخامس: منهجه في بقية أركان الإيمان، وفيه مباحث

المبحث الأول: الإيمان بالملائكة:

جرى كلام الدكتور النجار من خلال عرضه وتفسيره لآيات القرآن الكريم مجرى التصديق بهم، والإيمان بوجودهم وأسمائهم وأعمالهم.

ومن ذلك ما جاء عرضا عند قوله تعالى: ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾(١١٢) فيتعرض لبعض وظائف الملائكة وأعمالهم الموكلون بها فيقول: "أي أن كل نفس عليها من الله تعالى حافظ موكل بها من الملائكة يحفظها بأمر الله ويحفظ عنها بأمر الله كذلك، في مراقبة دائمة، فكما يصلنا طرق النوابض وأشباه النجوم عبر بلايين السنين الضوئية فإن أعمالنا تعرج لحظة بلحظة إلى الله تعالى علام الغيوب الذي لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء"(١١٣).

– ومن وظائفهم أيضا أن الله يصطفي منهم رسلا، يقول حفظه الله: "وتختتم سورة الحج بتقرير حقيقة أن الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس"(١١٤).

وكلامه – حفظه الله – على بعض أعمال الملائكة الموكلين بها يصدق الإيمان بجميع الملائكة وأعمالهم وهي كثيرة ومختلفة منها ما ذكره الله في القرآن من الوحي وكتابة الأعمال، وقبض الأرواح وحفظ الناس ونصرة المجاهدين، ومنها ما جاء في السنة من صفات ذلك تفصيلا.

المبحث الثاني: الإيمان بالكتب:

إن من تمام الإيمان وجوب التصديق بالإيمان بالكتب وهو من جملة أركان الإيمان الستة، والكتب هي التي أنزلها الله على رسله، وتكلم بها وحيا إلى الناس، ومن التي أخبرنا بها- سبحانه وتعالى- في كتابه صحف إبراهيم، والتوراة، والزبور والإنجيل ثم المهيمن عليها والناسخ لها القرآن الكريم. وهذا ما اعتقده الدكتور النجار وكرره ورده وأكده مرارا من خلال كتاباته.

فقال – حفظه الله –: "إن الإيمان بالقرآن الحكيم هو ركيزة الركائز في قضية الدين وذلك بصفته آخر الكتب السماوية، وأتمها، وأكملها، والكتاب الوحيد من بينها الذي تعهد ربنا (تبارك وتعالى) بحفظه فحفظ كلمة كلمة، وحرفا حرفا بنفس لغة وحيه (اللغة العربية) وبقي على مدى أربعة عشر قرنا أو يزيد وإلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها سليما من أي تحريف أو تغيير، ليبقى معجزة هذه الرسالة الخاتمة إلى قيام الساعة"(١١٥).

ثم يؤكد – حفظه الله – ما اعتقده السلف من أن هذا القرآن جاء مصدقا لما أنزل قبله من كتب سماوية ومهيمنا عليها بكماله وتمامه وحفظه(١١٦) وناسخا لها. والقرآن يؤكد أن أهل الكتاب يعلمون أن القرآن الكريم حق، مُنَزَّل من الله الخالق، وقد تكامل فيه وحي السماء، ولكنهم من كفرهم وشركهم يراوغون ويخادعون(١١٧).

وأن هذه خصوصية للقرآن الكريم والذي تكفل الله بحفظه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾(١١٨) أما بقية الكتب السماوية فكما قال – حفظه الله – أنها تعرضت للضياع التام، وما بقي من ذكريات عن بعضها على هيئة ترجمات مهلهلة لروايات بشرية نقلت شفاها، تتعرض إلى التحريف تلو التحريف، والتحرير بعد التحرير، والى التبديل والتغيير، والى الحذف والإضافة، والى غير ذلك من صور التـــزييف الذي لا يزال مستمرا إلى يومنا هذا، مما أخرج تلك الرسالات السماوية السابقة عن إطارها، الرباني وردها إلى عدد من الوثنيات والشركيات القديمة، وجعلها عاجزة عن هداية أتباعها.

ثم يعلق – حفظه الله – قائلا: "وهذا هو السبب الحقيقي من وراء المظالم العديدة التي تجتاح مختلف بقاع الأرض اليوم، وتغرقها في بحار من الدماء والأشلاء والخراب والدمار ولهذه المفاضلة بين كتب تركت لأصحابها فضيعوها، وكتاب تعهد الله بحفظه فحفظ، امتدح ربنا القرآن الكريم في العديد من آياته والتي منها قوله تعالى: ﴿الم ۞ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾(١١٩)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾(١٢٠).

المبحث الثالث: الإيمان بالأنبياء والرسل:

الإيمان بالأنبياء والرسل ركن من أركان الإيمان لا يصح الإيمان إلا به، كما قال تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾(١٢١).

قال ابن كثير: فالمؤمنون يؤمنون بالأنبياء لا يفرقون بين أحد منهم، لا يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض، بل الجميع عندهم صادقون بارون راشدون مهديون هادون إلى سبيل الخير وإن كان بعضهم ينسخ شريعة بعض بإذن الله حتى نسخ الجميع بشرع محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين الذي تقوم الساعة على شريعته(١٢٢).

يقول الدكتور النجار – حفظه الله – "والدين بركائزه الأربع الأساسية لا يمكن أن يكون صناعه بشرية بل الإنسان محتاج فيه دوما إلى الهداية الربانية، تلك الهداية التي أنزلها الله تعالى باسم الإسلام على فترة من الرسل، وبيَّنها للناس بواسطة مجموعة من الأنبياء فاق عددهم المائة والعشرين ألفا، منهم ثلاثمائة وبضعة عشر رسولا، وأتمها في الرسالة الخاتمة التي بعث بها الرسول الخاتم والنبي الخاتم ﷺ، ولكونها الرسالة الخاتمة التي تعهد ربنا سبحانه وتعالى بحفظها فحفظت بنفس اللغة التي أوحيت بها، ومن هنا كان القرار الإلهي الذي أنزله ربنا سبحانه وتعالى من فوق سبع سموات بقوله: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾(١٢٣).

ومن هذا المنطلق جاء القرآن يؤكد أن مَنْ ﴿يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾(١٢٤) (١٢٥).

– وقد ذكر الله في كتابه الكريم من أسماء الأنبياء والمرسلين خمسة وعشرين نبيا ورسولا منهم من ورد ذكرهم في سورة الأنعام والتي أشار إليها الدكتور النجار بقوله: "وأشارت

السورة الكريمة إلى عدد آخر من أنبياء الله منهم: نوح، وإسحاق، ويعقوب، وداود، وسليمان، وأيوب، ويوسف، وموسى، وهارون، وزكريا، ويحيى، وعيسى، وإلياس، وإسماعيل، واليسع، ويونس، ولوط، (على نبينا وعليهم أجمعين أفضل الصلاة وأزكى التسليم"(١٢٦).

– كما يؤكد الدكتور النجار ما أكده السلف رضوان الله عليهم من أنه بالرغم من تعدد الرسل والأنبياء إلا أنه يجمعهم وحدة رسالات السماء وتكاملها في القرآن الكريم، بصفتها الرسالة الخاتمة والتي تكفل الله بحفظها(١٢٧).

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾(١٢٨) تتضمن الآية أن الله بعث جميع الأنبياء لتحقيق التوحيد الخالص وعبادة الله وحده لا شريك له وإقامة الدين.

وكان كل رسول ونبي يرسل إلى قومه يقول لهم: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾(١٢٩) بعد أن يؤيدهم الله بالمعجزات تأكيدا على صدق دعواهم، كما أيدَّ الله رسوله محمد عليه الصلاة والسلام وخاتم الأنبياء والمرسلين بكثير من المعجزات منها حادثة انشقاق القمر: "وهي معجزة خارقة، لا يكاد العقل البشري أن يتصورها، ولكن من رحمة الله بنا أن أبقى لنا في صخور القمر من الشواهد الحسية، ما يؤكد وقوعها...! وأعان الإنسان على الوصول إلى تلك الشواهد حتى تقوم الحجة البالغة على الناس في عصر العلم والتقنية الذي نعيشه بأن القرآن الكريم هو كلام الله الخالق، وأن النبي الخاتم والرسول الخاتم الذي تلقاه كان موصولا بالوحي، ومعلما من قبل خالق السموات والأرض"(١٣٠).

هذه هي الجوانب العقدية المرتبطة بعقيدة الإيمان بالرسل، والتي يتصدرها كونها من أركان الإيمان الستة، وأنه يجب الإيمان بها على الجملة والتفصيل بحسب ما جاء في القرآن والسنة، مع الإيمان بأفضلية رسالة محمد ﷺ لكونها الخاتمة لكل الرسالات السابقة والمؤيدة بالمعجزات، ومع ذلك كفروا به وبرسالته قديما وحديثا.

المبحث الرابع: الإيمان بالقضاء والقدر:

يمثل الإيمان بقضاء الله تعالى وقدره أصلا عظيما من أصول الدين، فهو أحد الأركان الستة التي يدور عليها فلك الإيمان ورحاه، بحيث لا يتم ولا يتحقق إيمان العبد إلا بها كاملة مجتمعة، وهي المنصوص عليها في حديث جبريل عليه السلام.

وما ذكره الدكتور النجار والذي نصه: "من أصول الإسلام الإيمان بالقضاء والقدر، وإذا تعرَّض المسلم لشدة من الشدائد وعلاقته بالله طيبه، فإنه مطالب بالرضا بقضاء الله، مع التسليم بأن الحوادث التي تعرض لها هي لمصلحته ولخيره، وإن بدت في ظاهرها على غير ذلك، والذي يقرأ سورة الكهف يدرك تمام الإدراك أن من أخطاء الإنسان أنه يحكم على الأحداث بعلمه هو، وهو علم محدود للغاية ولو اطلع على علم الله كما تُحدِّثنا الآيات في القرآن لأدرك تمام الإدراك أن القدر في صالحه وإن بدت الأمور في غير ذلك. فمن الذي يتصور أن خرق مركب في عرض البحر هو خير لصاحب المركب؟ أو أن قتل طفل في عرض الشارع هو خير لوالديه؟ أو أن بناء جدار في قرية أبت أن تضيف موسى وصاحبه فيه خير كثير؟ فلا يجوز للإنسان أن يعترض على قضاء الله، وعليه أن يسلم بالقضاء والقدر رضا بما كتب الله، وهذا هو المؤمن"(١٣١).

– نقول ما ذكره الدكتور النجار وأبانه عن هذا الركن الإيماني العظيم تظهر موافقته التامة لما دلَّت عليه نصوص الكتاب والسنة ولما تواتر عن سلف الأمة وأئمتها، من وجوب الإيمان بالقضاء والقدر وتسليم الأمر فيها للمولى سبحانه، إذ قال جلا وعلا: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾(١٣٢)، وقال: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾(١٣٣)، وقال أبو بكر: الإسماعيلي محددا أصول اعتقاد أئمة الحديث: "ويقولون ما يقوله المسلمون بأسرهم ما شاء الله كان وما لا يشاء لا يكون"(١٣٤)

المبحث الخامس: الإيمان بالبعث:

من أصول العقيدة الإسلامية: الإيمان بالبعث والحساب والجزاء، والإيمان بالبعث هو محور وموضوع بعض سور القرآن، وقد ناقشت الآيات كثيرا هذه القضية، وذلك لأن إنكار البعث كان حجة كفار قريش، كما كان حجة الكفار والمتشككين عبر التاريخ في نبذهم للدين، كفرا برب العالمين وجهلا بطلاقة قدرته التي لا تحدها حدود، أو قياسا للقدرة الإلهية بقدرات البشر المحدودة ظلما وعدوانا وجهلا بمدلول الألوهية الحقة، ومن ثم عجز الكافرون عن تصور إمكانية البعث أو تعاجزوا عنه انصياعا لشهواتهم التي يرون ممارستها دون أدنى مسؤولية أو مساءلة، فانطلقوا في إنكار البعث، وما يستتبعه من الحساب والجزاء(١٣٥).

هذه إحدى استهلالات الدكتور النجار للتأكيد على قضية محورية هامة من أخطر حقائق الكون وأهم أحداثه، ومع ذلك فهذا الإنكار قديم حديث، استحال فهمه على كثير من الناس واستحال التصديق به من المتشككين عبر التاريخ(١٣٦) وخاطبهم القرآن بأدلة عقلية وحسية كثيرة كدعوته إلى النظر في نشأته الأولى كي يعلم أن خالقه قادر على إعادة بعثه. واليوم يأتي العلم ليخاطبهم بفهم جديد يتوقف عنده الدكتور النجار كثيرا عند قوله تعالى: ﴿أَوَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ (١٣٧) يقول: "وهذه الآية القرآنية الكريمة التي جاءت بصيغة الاستفهام التوبيخي للكافرين والمشركين والملاحدة تشد انتباههم إلى قدرة الله التامة وسلطانه العظيم اللذين يتضحان من إبداعه في خلقه ومن صور ذلك الإبداع خلق السموات والأرض من جرم ابتدائي واحد سماه ربنا باسم "الرتق" وهو ضد الفتق، ثم أمر الله تعالى هذا الجرم الابتدائي بالانفتاق فانفتق وهي مرحلة يسميها القرآن الكريم باسم (الفتق) وتحول إلى سحابة من الدخان (مرحلة الدخان) الذي خلق منه ربنا كلا من الأرض والسماء. ثم يأتي العلم المكتسب في منتصف القرن العشرين ليكتشف شيئا من معالم تلك الحقيقة الكونية ويظل يجاهد في إثباتها حتى يتمكن من شيء من ذلك بنهايات القرن العشرين، فينادي بنظرية سميت باسم "الانفجار العظيم" ويتنبأ بحتمية انعكاس تلك العملية فيما سماه باسم نظرية (الانسحاق الشديد)... وهنا تبدأ الحياة الآخرة"(١٣٨).

ومن رحمة الله بعباده أن جعل الساعة أمر غيبي لا يعلمه إلا هو سبحانه وتعالى، وفي هذا رد على خطأ كبير يقع فيه بعض من أصابهم الكبر والغرور نظرا لما توصلوا له من العلوم، وأنهم يستطيعون أن يعلموا متى تقوم الساعة؟

يقول الدكتور النجار: "هذا وهم لا أساس له من الصحة لأن الآخرة لها من السنن والقوانين ما يغاير سنن الدنيا، وأنها تأتي فجأة بقرار إلهي (كن فيكون) دون انتظار لرتابة السنن الكونية الراهنة التي تركها لنا ربنا سبحانه وتعالى رحمة منه بنا، إثباتا لإمكان حدوث الآخرة، وقرينة علمية على حتمية وقوعها والتي جادل فيها أهل الكفر والإلحاد عبر التاريخ، والذين كانت حجتهم الواهية هي الادعاء الباطل بأزلية العالم وهو ادعاء أثبتت العلوم الكونية في عطاءاتها الكلية بطلانه بطلانا كاملا.

فعلى سبيل المثال تفقد شمسنا من كتلتها في كل ثانية على هيئة طاقة ما يساوي ٤,٦

مليون طن من المادة ونحن نعرف كتلة الشمس في وقتنا الحاضر فهل يمكن لعاقل أن يتصور إمكان استمرار الشمس حتى آخر جرام من مادتها؟ وحينئذ يمكن بقسمة كتلة الشمس على ما تفقده في اليوم أن ندرك كم بقي من عمرها؟

هذا كلام يرفضه العقل السليم لأن الساعة قرار إلهي غير مرتبط بفناء مادة الشمس، وإن أبقى لنا ربنا سبحانه وتعالى آيته الظاهرة من الإفناء التدريجي للشمس، ولغيرها من نجوم السماء دليلا ماديا ملموسا على حتمية الآخرة، أما متى تكون؟ فهذا غيب مطلق في علم الله لا يعلمه إلا هو... بل هي قرار إلهي فجائي ولذلك قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلا هُوَ﴾(١٣٩)، وعلى ذلك جاء رد المصطفى ﷺ على جبريل عليه السلام حين سأله: أخبرني عن الساعة. فقال: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل »(١٤٠).

الخاتمـــة

مرة أخرى إنها مسيرة عالم وعلمه.. بكل ما فيها وما يدور حولها فهي أوسع من أن تحصر في هذا المحيط الضيق.. ولكن لعلنا في نهاية البحث أصبحنا خيرا منه وأوسع نظرة وأكثر وضوحا قبل أن نقرأه، وهي نتيجة إن خرجنا بها فهي ليست بالقليلة... ولا مانع ونحن في نهاية المشوار.. مشوار البحث.. وقد وصلنا إلى بوادر حصائله أن نقف عند نتائجه المرتقبة والتي تربطنا بالختام.. مع أنه بحث ليس له زمن.. ليس له ختام، فقد امتدت صفحاته لتصبح عمرا، لكن هناك نتائج تتلخص في الآتي:

أولا: لما كان الإنسان ابن بيئته، فقد نشأ عالمنا فتى أصيلا يرى الدنيا والأشياء بعين خاصة ليعيش في عالم من صنع القيم والمبادئ التي تغذى بها، فكان هذا هو الركن الأول في بناء أصالة شخصيته، وأما الركن الثاني فكانت المحن والأحداث التي تثبت القيم وتسكن فيها، لتستكين بالصبر عليها، فأثمر هذا بعدها ما أثمر.

ثانيا: إن التعريفات المتعلقة بالتفسير العلمي ليست سواء فهي كثيرة ومتنوعة، ولا شك أن بعضها أغنى من بعض في رصيد الخبرة، ومن هنا جاء تعريف الدكتور النجار للتفسير العلمي ومقارنته بالإعجاز العلمي من امتيازاته لأنه من خصوصياته وقد اختار له من الضوابط ما يتسق مع الواقع العلمي.

ثالثا: إن الدكتور النجار هو أول من أبرز في تبلور حاسم معنى التفسير العلمي رادا على تعريفات المعرِّفين حين قال:" إن المقصود بالتفسير العلمي هو توظيف كافة المعارف الكونية الصحيحة والمتاحة للإنسان في كل عصر من العصور، وفي مختلف مجالات الدراسات العلمية منها والتطبيقية في حسن فهم دلالات الآيات القرآنية الواردة في كتاب الله سواء كانت هذه المعارف من الحقائق والثوابت العلمية أو النظريات والفروض والمشاهدات، وهي لا شك براعة تحسب للدكتور النجار.

رابعا: إن الدكتور النجار وهو يضرب على وتر واحد يخرج لك أكثر من معنى في شيء من التحديد والتخصيص ليجعل المسافة كبيرة بين التفسير العلي والإعجاز العلمي، فالأول توظيف لكل المعارف المتاحة من الحقائق والثوابت العلمية أو النظريات والفروض، وذلك لأن

التفسير يبقى جهدا بشريا لحسن فهم دلالة الآية القرآنية، لمن أصاب فيه أجران ولمن أخطأ أجر واحد، والخطأ في التفسير لايمكن أن ينسحب على جلال القرآن الكريم.

أما الإعجاز العلمي فلا يوظف فيه إلا القطعي من الثوابت العلمية باستثناء آيات الخلق والإفناء والبعث، لأن المقصود به هو إثبات أن القرآن الكريم وحي من الله تعالى، وفي هذا تلخيص جيد لقضية كثر الخلاف حولها.

خامسا: إن عقيدة الدكتور النجار التي تطالعك في أبحاثه المكرورة لتشيع في نفسك الثقة وأنت تراه يحشد أصول منهج السلف في كتاباته وتفسيراته مما لا يُحصى حول جوانب العقيدة واصطلاحاتها، إلا ما كان من إشارات حول بعض الصفات كرأيه في الحد وعلاقته بصفة الاستواء لله تعالى، وصفة الحياء له سبحانه، وأنا أعني كلمة " إشارات غريبة " هذه. فالدكتور النجار يطالعنا بها في اختصار شديد بجانب كل ما كتب حتى ليخيل إليك في بعض الأحيان أنه لا يوجد في الظاهر رابط بين هذه الإشارات وبين كل ما كتب والذي تراه في جو مُوحَّد مع آراء السلف واعتقاداتهم، وهذا ما يجعلنا نعتذر عنه لتلك الإشارات المتناثرة فكأنها أصداء شاردة.

سادسا: إن منهجه – حفظه الله – في تعريف التوحيد حافل بالإيماءات والإشارات التي تضم أجمع الكلام وأبينه في إثبات الوحدانية لله تعالى في ذاته وصفاته، وفي ألهيته وربوبيته، مع نفي الشريك والتشبيه عنه في ذلك كله.

سابعا: إن الدكتور النجار في التعريف بتوحيد الربوبية يتحد مع السلف في التعريف وطريقة التعبير، فهي عقيدة دائمة في خاطره وفي حسه يعبر عن حقيقتها ولازمها وأنها مختصة بالخالق وحده دون سواه على ما تقتضيه الربوبية من المعاني الكثيرة.

ثامنا: جمع الدكتور النجار في تقريره لتوحيد الربوبية والاستدلال له بين منهج الكتاب والسنة وفهم السلف الصالح والمنهج العلمي، لكنه لا يهوّم ولا يتوه، فمعالم الإحساس والتصور عنده واضحة وهي على رحابتها وانفساحها، وعلى عمقها ودقتها في اعتماده على دليل المعجزة وقضية الإعجاز العلمي وتوسعه فيه وتبنيه له، إلا أن هذا التبني يحيط به الوعي والعقل معتمدا على أن عدم حصر طرق معرفة الله تعالى في طريقة واحدة فقط هو المنهج الصحيح الذي دل عليه الكتاب والسنة وفهم السلف الصالح.

تاسعا: ذهب الدكتور النجار في توحيد الألوهية والمتضمن لتوحيد الربوبية إلى ما ذهب إليه السلف من أنه المقصود الأول من بعثة الرسل، ويقرره ويستدل له بما قرروه واستدلوا به، فجاء كأجمل تقرير متسق السمات حاملا لنفس الملامح.

عاشرا: إن الدكتور النجار قد استخدم في موضع من باب الصفات عبارة محتَمَلة موهمة لم ترد في الكتاب أو السنة ولا في عبارات السلف الصالح، لا نفيا ولا إثباتا، وذلك حين قال منزها لله: (لا يحده الزمان ولا المكان ولا تشكله المادة ولا الطاقة) فهي عبارة قد يراد بها حق كما شرحها السلف، وقد يراد بها باطل كما ذهب إلى ذلك الجهمية وكان الأولى عدم استخدامها، أو الشرح والتفصيل عند استخدامها. ولكن كما قررنا سابقا لعلها لمحة سريعة في غير محلها، لا تربطها بكل آرائه السابقة رابط، فهي لا تكاد تبين، وفيها بعد واضح عن حقيقة السمات التي قررها – حفظه الله – سابقا.

حادي عشر: إن الدكتور النجار – حفظه الله – يثبت صفة الحياء لله تعالى لكنه إثبات غير صريح بإثبات معنى الحياء لله تعالى كما ورد عند السلف، وإنما لجأ إلى التفويض مقررا تفويض الكيفية دون تطرق للمعنى، مع ذكره للتأويل الذي نقله عن جمع من المفسرين دون تعليق عليه بنفي أو إثبات.

وعلى ما في هذه السطور من مخالفة للسمات العامة في الصفات عنده وطريقة إثباته إلا أنها سطور تفوقها الدقة، وهي في صميمها تخالف منهجه العام والذي خرجنا به من كل ما مضى وأغلب الظن أن التوفيق هنا لم يجالف الدكتور النجار. وربما لم أكن صاحبة حق في نقده، ولكن هذا لا يمنع من التعبير عن رأيي من أن روح الدكتور التي عهدناها في كل ما مضى كانت تخبو هنا من وراء هذه الألفاظ التي تشير في جَهْد إلى أنه جانب الصواب.

الثاني عشر: في وضوح تام تأتي بقية أركان الإيمان الست عند الدكتور النجار تلقي بظلالها وهي على رحابتها وانفساحها بكل جزئياتها تستظل بعقيدة السلف، موافقة لهم موافقة تامة في عمق وقوة.. تتناسق جميعها في تصوير مذهبهم ولا تزيد وهي شيء آخر غير تلك اللفتات التي مر بنا نموذج منها، إنه فصل في العقيدة عنده من أبرع الفصول وموضوعه مستمد من منهج السلف، لا شك في ذلك.

الهوامش والمراجع

١. **السماء في القرآن الكريم**، د. زغلول راغب النجار، ص ١٧٣
٢. انظر: **جامع العلم**، ابن عبد البر ج٢، ص ١٧٢- ١٧٢، **إعلام الموقعين**، ابن القيم، ج٢، ص ٥٣- ٥٨ **إيقاظ همم أولي الأبصار**، ص ٧٧ وما بعدها.
٣. انظر: **الإشارات الكونية في القرآن الكريم ومغزى دلالتها العلمية**، د. زغلول النجار موقع: الهيئة العالمية.
٤. انظر: **تأويل مختلف الحديث**: ابن قتيبة، ص ٦٣- ٦٥، **فتاوى شيخ الإسلام** ج١٦ ص ٤٦٣ **والصواعق المرسلة**، ابن القيم، ج٣ ص ٧٩٦- ٨٢٠، الصفاح الإلهية، الشيخ محمد أمان، ص ٥٨ للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، مكة المكرمة
٥. سورة الأنعام، آية: ٦٨.
٦. انظر: **تفسير القرطبي**، ج٧، ص ١٢.
٧. رواه البخاري، **فتح الباري**، ج٥، ص ١٠٦، ج٨، ص ١٨٨، ومسلم، ج٤، ص ٢٠٥٤.
٨. **النبات في القرآن الكريم**، د. زغلول راغب النجار، ج٤، ص ٩٩.
٩. سورة الشورى، آية ٧.
١٠. **السماء في القرآن الكريم**، د. زغلول راغب النجار، ص ٣٨٥.
١١. انظر: **السماء في القرآن**، دكتور زغلول النجار، ص١٢٢.
١٢. سورة الإسراء آية: ٣٦.
١٣. انظر: **النبات في القرآن الكريم**، د. زغلول النجار، ص ٧٦.
١٤. المصدر نفسه، ص ٧٦.
١٥. **مجموع فتاوى** شيخ الإسلام ابن تيمية ج٣ ص ٢٩٦.
١٦. نفس المصدر، ج١١، ص ٤٩٠.
١٧. **السماء في القرآن الكريم**، د. زغلول راغب النجار، ص ٢٨.
١٨. سورة التكوير، آية: ١٥- ١٦.

١٩. **السماء في القرآن الكريم**، د. زغلول النجار، ص ٢١٣- ٢١٥.

٢٠. **الأرض في القرآن**، د. زغلول النجار، ص ٧٣.

٢١. **السماء في القرآن الكريم**، د. زغلول راغب النجار، ص ٧٠.

٢٢. **السماء في القرآن الكريم**، د.زغلول النجار ص٣٠ وما بعدها.

٢٣. المصدر السابق نفسه.

٢٤. **أكذوبة الإعجاز العلمي في القرآن**، دكتور خالد منتصر، بتاريخ ٢٠٠٤/١١/٤م.

٢٥. انظر: **اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر**، دكتور فهد بن عبد الرحمن الرومي ٦٠٠/٢.

٢٦. انظر **موقع شبكة التفسير**، حوار مع الدكتور زغلول النجار، أجراه يحيى رضا جاد أبو المجد، بتاريخ ٢٠٠٥/٦/١٨م.

٢٧. انظر: **الإعجاز العلمي لغة الدعوة في عصر العلم**، الدكتور زغلول النجار، بالاستضافة: الهيئة العالمية للإعجاز العلمي، مكة المكرمة.

٢٨. سورة النازعات، آية ٣٠.

٢٩. انظر: **الحوار المتمدن**، العدد ١٠٠٧، بتاريخ ٢٠٠٤/١١/٤م، خالد منتصر.

٣٠. المرجع السابق نفسه.

٣١. **أكذوبة الإعجاز العلمي في القرآن**، دكتور خالد منتصر، العدد ١٠٠٧، بتاريخ ٢٠٠٤/١١/٤م.

٣٢. **اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر**، دكتور فهد الرومي، ج٢ ص٥٧٨.

٣٣. **اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر**، دكتور فهد الرومي، ج٢ ص٥٩٢.

٣٤. **اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر**، دكتور فهد الرومي، ج٢ ص٥٧٢.

٣٥. **اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر**، دكتور فهد الرومي، ج٢ ص٥٦٥.

٣٦. سورة الحجر، آية ٩.

٣٧. انظر: **السماء في القرآن الكريم**، د. زغلول النجار، ص ٣٤٢.

٣٨. المصدر السابق، ص ٥٢٣.

٣٩. **الاستقامة**، ابن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، ج١ ص ١٤٥.

٤٠. المصدر السابق، ج١ ص ١٤٦.

٤١. **السماء في القرآن الكريم**، د. زغلول النجار، ص ٥٦٣.

٤٢. سمي علميا نسبة إلى العلم، لأن المقصود منه أن يعلم العبد ذلك علما يقينيا، وسمي خبريا نسبة إلى الخبر، لأن الكلام فيه من باب الخبر الدائر بين النفي والإثبات من قبل المتكلم، المقابل بالتصديق أو التكذيب من قبل المخاطب (انظر: **تقريب التدمرية**، ص ١٧).

٤٣. هو اعتقادي لأنه لابد فيه من الاعتقاد الجازم، وقولي يفي: قول القلب الذي هو الاعتقاد، قول اللسان الذي هو الإقرار.

٤٤. انظر: **مدارج السالكين**، ابن القيم، ج١ ص ٤١٢، **دعوة التوحيد**، الهراس، ص ٢٢٢.

٤٥. انظر: **مدار السالكين**، ابن القيم ج١ ص ٤١٣، **دعوة التوحيد**، الهراس، ص ٧٢، **الدرر السنية في الأجوبة النجدية**، جمع: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ج٢ ص ٤٣.

٤٦. انظر: **السماء في القرآن الكريم**، د. زغلول النجار، ص ٩٦.

٤٧. انظر: المصدر نفسه، ص ٩٧.

٤٨. انظر: **شرح العقيدة الطحاوية**، ابن أبي العز الحنفي، ج١، ص ١١٦.

٤٩. **تفسير الطبري**، محمد بن جرير الطبري، ج١، ص ٩٢.

٥٠. انظر: **الأرض في القرآن الكريم**، د. زغلول النجار، ص ٢٧٨.

٥١. انظر: **السماء في القرآن الكريم**، د. زغلول النجار، ص ١٠٩.

٥٢. سورة الزخرف، آية ٨٧.

٥٣. انظر: **شرح العقيدة الطحاوية**، ج١، ص ٢٥- ٢٦.

٥٤. سورة النمل، آية ١٤.

٥٥. **السماء في القرآن الكريم**، ص ٧٥.

٥٦. **الأرض في القرآن الكريم**، ص ١٥١.

٥٧. سورة الإسراء: ٤٤.

٥٨. انظر: **مجوع فتاوى** شيخ الإسلام ابن تيمية، ج١١ ص ٣٧٨- ٣٧٩.

٥٩. سورة البقرة، آية ١٦٤.

٦٠. انظر: **كتاب الفوائد**، ابن الجوزية، تحقيق: بشير محمد عون، ص ٤١- ٤٣.

٦١. انظر: **السماء في القرآن الكريم**، د. زغلول النجار، ص ١٠٥.

٦٢. سورة الأنعام، آية ١٠٢.

٦٣. سورة الفرقان، آية ٢.

٦٤. انظر: **السماء في القرآن الكريم**، د. زغلول النجار، ص ١٠٥.

٦٥. سورة البقرة، آية ٢٩.

٦٦. من آية ٩ — ١٢.

٦٧. **السماء في القرآن الكريم**، د. زغلول النجار، ص ١٢٣.

٦٨. انظر: المصدر السابق، ص ٢٧٣.

٦٩. انظر: **السماء في القرآن الكريم**، ص ٤٩٦.

٧٠. سورة البقرة، آية ٢١- ٢٢.

٧١. انظر: **الأرض في القرآن الكريم**، ص ٢٩٦.

٧٢. انظر: **تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد**، سليمان بن عبد الوهاب التميمي، ص ٣٦، و**الكواشف الجلية عن معاني الواسطية**، الشيخ عبد العزيز السلمان، ص ٤١٨.

٧٣. **الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة**، لأبي القاسم قوام السنة، تحقيق ودراسة: محمد بن ربيع المدخلي، الدكتور محمد بن محمود أبو رحيم، ج٢ ص ٣٨٣.

٧٤. انظر: **شرح العقيدة الطحاوية**، ص ٥٣.

٧٥. **السماء في القرآن الكريم**، د. زغلول النجار، ص ٣٨٥- ٣٨٦.

٧٦. انظر: **مجموع الفتاوى**، ج٣ ص ٨.

٧٧. انظر: **بدائع الفوائد**، ابن القيم، ج١ ص ١٦٢.

٧٨. سورة مريم، آية ٦٥.

٧٩. **السماء في القرآن الكريم**، د. زغلول النجار، ص ٥٥٣- ٥٥٤.

٨٠. سورة الشورى، آية ١١.

٨١. انظر: **الأرض في القرآن الكريم**، ص٢٦٦.

٨٢. انظر: **السماء في القرآن الكريم**، ٤٤٦.

٨٣. **السماء في القرآن الكريم**، د. زغلول النجار، ص١٢٢.

٨٤. **السماء في القرآن الكريم**، د. زغلول النجار، ص ١٢٢.

٨٥. انظر المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

٨٦. انظر: **مختصر العلو**، الذهبي، ص ١٢٨.

٨٧. انظر: **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة**، الالكائي، ج٢ ص ٣٩٨، رقم ٦٦٤، ٦٦٥.

٨٨. **فتح الباري**، ج١ ص ٥٠٨، تعليق ١.

٨٩. سورة القصص، آية ١٤.

٩٠. انظر **مختصر الصواعق المرسلة**، ج٢ ص٣٢٠.

٩١. انظر: **مختصر العلو للعلي الغفار، الذهبي**، اختصار الألباني، ص ٨٠.

٩٢. **مجموع فتاوى ابن تيمية**، ج٥ ص١٩٩.

٩٣. **فتح الباري**، ج١٣ ص ٤٠٣.

٩٤. **السماء في القرآن الكريم**، د. زغلول النجار، ص ٣٨٥.

٩٥. **الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة**، ابن القيم، ص١٤٣.

٩٦. **درء تعارض العقل والنقل**، ج٢، ص ١٠- ١٢.

٩٧. **الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة**، ص ١٣١.

٩٨. **رد الإمام الدارمي عثمان بن سعيد على المريسي العنيد**، ضمن عقائد السلف، ص ٣٨٢.

٩٩. سورة البقرة، آية ٢٦.

١٠٠. انظر: **الحيوان في القرآن الكريم**، د. زغلول النجار، ص ١٧٤.

١٠١. **روح المعاني**، ج١، ص ٢٠٦.

١٠٢. أخرجه البخاري مع **الفتح**، ج١، ص ١٥٦، رقم ٦٦.

١٠٣. **النظام الفريد بتحقيق جوهرة التوحيد**، محمد محي الدين عبد الحميد، **حاشية على إتحاف المريد بجوهرة التوحيد**، عبد السلام بن إبراهيم اللقاني، ص ١٢٨.

١٠٤. **الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة**، تحقيق: د. علي بن محمد الدخيل الله، ج٢، ص ٤٢٢.

١٠٥. المصدر السابق.

١٠٦. **مناهل الوفاق، محمد بن عبد العظيم**، الزرقاني ص ١٨٢.

١٠٧. **مجموع الفتاوى**، ج٥ ص ٤١- ٤٢.

١٠٨. **شرح العقيدة الواسطية**، الشيخ الهراس، ص ٦٩.

١٠٩. **الاستقامة**، ابن تيمية، ج١ ص ١٢٨.

١١٠. انظر: **التدمرية**، ابن تيمية، تحقيق: محمد بن عودة السموي، ص ٦٥- ٦٦.

١١١. **فتح الباري**، ج١ ص ٣٨٩.

١١٢. سورة الطارق، آية ٤.

١١٣. **السماء في القرآن الكريم**، د. زغلول النجار، ص ٢٧١.

١١٤. المصدر السابق، ص ٥٦٧.

١١٥. المصدر السابق، ص ٤٩٥- ٤٩٦.

١١٦. المصدر السابق، ص ٤٩٧.

١١٧. **السماء في القرآن الكريم**، د. زغلول النجار، ص ٥٢٦.

١١٨. سورة الحجر، آية ٩.

١١٩. سورة البقرة: آية ١- ٢.

١٢٠. **الأرض في القرآن الكريم**، د. زغلول النجار، ص ٩٦ وما بعدها.

١٢١. سورة البقرة، آية ٢٨٥.

١٢٢. **تفسير ابن كثير**، ج١، ص ٣٤٢.

١٢٣. سورة آل عمران، آية ١٩.

١٢٤. سورة الأنعام، آية ١٢٥.

١٢٥. **السماء في القرآن الكريم**، د. زغلول النجار، ص ٣٩٠- ٣٩١.

١٢٦. **الأرض في القرآن الكريم**، د. زغلول النجار، ص ٢٥٩.

١٢٧. **الأرض في القرآن الكريم**، د. زغلول النجار، ص ١٠٠.

١٢٨. سورة الأنبياء، آية ٢٥.

١٢٩. سورة الأعراف، آية ٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥.

١٣٠. **السماء في القرآن الكريم**، د. زغلول النجار، ص ٥٣٩.

١٣١. **موقع الصحوة نت**، القاهرة، حوار: همام عبد المقصود بعنوان "الكوارث عقاب للمجرمين وابتلاء للمؤمنين وعبرة للناجين، تاريخ ٦/ ١/ ٢٠٠٥م.

١٣٢. سورة التوبة، آية ٥١.

١٣٣. سورة الحديد، آية ٢٢.

١٣٤. **اعتقاد أئمة الحديث**، ص ٥٧، وانظر: **عقيدة السلف**، الصابوني، ص ٨١- ٨٢.

١٣٥. **الأرض في القرآن الكريم**، د. زغلول النجار، ص٢٠١.

١٣٦. انظر: **السماء في القرآن الكريم**، د. زغلول النجار، ص ٥٥٧٦.

١٣٧. سورة الأنبياء، آية ٣٠.

١٣٨. **السماء في القرآن الكريم**، د. زغلول النجار، ص ١٨٧.

١٣٩. سورة الأعراف آية ١٨٧.

١٤٠. **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، رقم ٩٣.